
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
القناص
٩٨
د. نبيل فاروق
باسل
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
رجل المستحيل ● ٩٨ ● القناص
● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
المؤلف
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بالأحداث
المثيرة
٩٨
الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي فى سائر الدول العربية والعالم
القناص
● هل تنجو (منى توفيق) من براثن (أنطونيو لويجى) ورجاله فى (روما)؟!
● كيف يواجه (حسام حمدى) جهاز الشرطة كله ، فى قلب (نيويورك) ؟!
● ترى لمن يكون النصر فى قلب (لندن) ؟.. لـ (أدهم صبرى) ، أم لمنافسه سير (لانسلوت) ، الذى يحمل لقب (القناص) ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك مع (أدهم صبرى) وفريقه ، فى معركتهم الأخيرة ..
العدد القادم : مذاق الدم
www.helmelarab.net

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ ـ الفريق ..

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى مدير المخابرات العامة المصرية، وهو ينهض من خلف مكتبه، لاستقبال زائره الضخم، الذى دلف إلى مكتبه فى خفة، لا تتناسب قط مع بدانته الزائدة، ولا حالته الصحية الحالية، وهتف المدير فى مرح رصين :

ـ مرحبًا يا عزيزى (قدرى) .. إنها لمفاجأة سارة أن أراك هنا فى الإدارة .. كيف سمحوا لك بمغادرة المستشفى، قبل تمام الشفاء ؟

صافحه (قدرى)، وهو يهزّ كتفيه المكتظين، قائلًا :

ـ ومن قال إن الشفاء لم يتمّ بعد ؟!.

وانتقى أكبر المقاعد حجمًا، فحشر فيه جسده الضخم، وهو يستطرد :

ـ هؤلاء الأطباء يتعاملون معى بروتينية مملة، ويتصورون أن جسدى سيخضع لكل ما لقنوهم إياه فى أيام الدراسة، دون أن يضعوا فى الاعتبار ذلك الدرع الواقى، الذى أرتديه باستمرار .

سأله المدير فى دهشة :

ـ أى درع هذا ؟

أمسك (قدرى) كرشه الكبير، وهو يقول :

ـ طن من الشحم والدهون، تحتاج أقوى رصاصة إلى ساعة كاملة، لتخترقها إلى أحشائى .

لم يتمالك المدير نفسه، أمام تلك اللهجة الجادة، التى نطق بها (قدرى) عبارته الأخيرة، فقهقه ضاحكًا فى مرح، وقال :

ـ إنهم يخالفونك تمامًا فى هذا القول، ويطالبونك بإزالة هذا الدرع الواقى، قبل أن يسبّب لك قائمة كاملة من الأمراض والعلل بدءًا بالتهابات المفاصل، وانتهاءً بالأزمات القلبية والسكتات الدماغية .

مطّ (قدرى) شفتيه، وقال :

ـ أصبحت تتحدّث مثلهم يا سيادة المدير .

ضحك المدير مرة أخرى، وربّت على كتفه فى حرارة، قائلًا :

ـ على أية حال، أنا سعيد بعودتك يا (قدرى)

قال (قدرى) بسرعة عجيبة :

ـ أما أنا، فحزين للغاية .

رفع المدير حاجبيه فى دهشة، وهو يقول :

ـ لعودتك إلينا ؟

هزّ (قدرى) رأسه نفيًا، وقال :

ـ بل لسبب أكثر أهمية .

ودفع جسده إلى الأمام فى صعوبة، ليميل نحو مكتب المدير، قائلًا :

ـ سمعت أن (أدهم) يقود فريقًا هذه المرة، فى مهمته الجديدة .

تراجع المدير فى مقعده، وانعقد حاجباه وهو يتطلّع إلى (قدرى) لحظات فى صمت، ثم قال فى صرامة :

ـ من أخبرك بهذا ؟

هزّ (قدرى) رأسه، وقال :

ـ لم يخبرنى أحد يا سيادة المدير، ولكن لا تنس أن هذه مهنتنا .. أو أن هذا ما تعلّمته من عملى معكم على الأقل .. لقد علمت فور عودتى أنه تم استدعاء (حسام) من (هونج كونج) على وجه السرعة، ثم اجتمع مع سيادتك، أنت و(أدهم) و(منى)، لعدة ساعات، وبعدها حصلتم من مكتبى على أوراق كنت قد أعددتها للطوارئ، مثل بطاقة المباحث الفيدرالية الأمريكية، التى تحمل صورة (حسام)، وتلك الأوراق الأخرى، وجواز سفر (منى) الأمريكى، وسافرت (منى) فورًا إلى (روما)، ثم سافر

(حسام) بعدها بساعات إلى (أمريكا) ، وانطلق (أدهم) فى الفجر إلى (لندن) ، فما الذى يمكن أن نطلقه على هذه المعلومات ، لو جمعناها جنبًا إلى جنب ، ورتبناها كما يحدث فى لعبة (البازيل) ، التى يستخدمها الأطفال ، كما تعلمنا هنا ؟!.. ألا يصلح تمامًا لقب (الفريق) ، على هذه المهمة ؟

مضت لحظة من الصمت ، والمدير يتطلّع إليه ، ثم ابتسم وغمغم :

ـ لقد أصبحت محترفًا بحق يا (قدرى) .

تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف لهفة :

ـ حقًا ؟!

ثم عاد إلى تجهمه بسرعة ، مستطردًا :

ـ لماذا لا تعاملوننى على هذا النحو إذن ؟!

رفع المدير حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولكننا نعاملك بما هو أفضل من هذا .. إننا نعتبرك أستاذًا فى مجال التزييف والتزوير .

هتف (قدرى) :

ـ وماذا عن مجال المخابرات ؟

عاد حاجبا المدير ينعقدان ، وهو يقول :

ـ أفصح عما تكنه مباشرة يا (قدرى) .

أجابه (قدرى) على الفور ، وكأنما كان يعد الجواب مسبقًا :

ـ أريد أن أنضمّ إلى الفريق .

كان المطلب متنافيًا تمامًا ، مع كل الأعراف والقواعد ، المتبعة فى عالم المخابرات ، ولكن المدير استقبله فى هدوء ، فتطلّع إلى (قدرى) طويلًا فى صمت ، قبل أن يسأله :

ـ بأى مبرّر ؟

أجاب (قدرى) فى حماس :

ـ إنها مهمة ضخمة ، تلك التى تحتاج إلى (أدهم) ، و (منى) ، و (حسام) ، فى آن واحد ، ومن المؤكّد أنهم سيحتاجون إلى أوراق ، ومستندات ، وتوقيعات ، و ....

ابتسم المدير ، وهو يقول :

ـ وماذا ؟!

ارتبك (قدرى) واضطرب ، وانعقد لسانه لحظات ، ثم لم يلبث أن خفض عينيه ، وهو يغمغم :

ـ لا يمكننى أن أحتمل أن يقود (أدهم) فريقًا لأوّل مرة ، فلا أكون واحدًا من أفراده .

اتسعت ابتسامة المدير ، وتسللت إليها لمحة حانية ، إزاء تصرّف (قدرى) الصبيانى ، الذى دفعه إليه حبه الشديد لـ (أدهم) ، ولم يشأ أن يصدم مشاعره ، وهو بعد فى مرحلة النقاهة ، فقال فى هدوء وود :

ـ اسمعنى جيدًا يا (قدرى) .

رفع إليه (قدرى) عينيه فى بطء ، فتابع بروح أبوية :

ـ هذه المهمة ليست بالهينة أو البسيطة ، وعلى الرغم من أن (أدهم) و (منى) و (حسام) يتولون مهمة واحدة ، إلا أن كلًا منهم يعمل فى بلد مختلف عن الآخر ، والمفروض أن ينجح كل منهم فى مهمته ، قبل أن يجتمعوا معًا ، وتبدأ المرحلة القوية من الخطة .. ولسنا نعلم بعد ما ستتطوّر إليه الأمور ، ولكننا نعتقد أنهم سيحتاجون بالفعل إلى أوراق ووثائق وتوقيعات جديدة حتمًا .. وكل ما أملكه الآن هو أن أعدك ، أنه عندما تحين تلك اللحظة ، ستكون أنت من يحمل إليهم كل ما ينشدونه .

بدا الارتياح على وجه (قدرى) ، وهو يقول :

ـ حقًا يا سيّدى ؟!

ابتسم المدير فى رصانة ، وهو يقول :

ـ حقًا يا (قدرى) .

تهلّلت أساريره فى سعادة طفولية ، وهتف :

ـ سأنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر .

واستند إلى طرف مكتب المدير ، لينهض واقفًا ، وهو يقول :

ـ ولكن هل وصلت أخبار منهم يا سيّدى ؟

هزّ المدير رأسه ، وهو يقول :

ـ ليس بما يكفى .

وكان صادقًا تمامًا فى قوله هذا ؛ فالأخبار التى وصلت ، من المدن الثلاث ، (روما) ، و (لندن) و (نيويورك) ، لم تكن تكفى لتجيب عن السؤال الأكثر أهمية ..

أين أفراد الفريق الجديد فى هذه اللحظة ؟ أين ؟..

* * *

كانت البداية تقليدية إلى حد كبير ، عندما أسند المدير المهمة إلى (أدهم) و (منى) ..

مهمة السعى وراء منظمة (سناك) الجديدة ، وكشف أمرها ، و ....

وتدميرها ..

ولكن فى هذه المرة كان هناك استثناء واحد ..

(حسام حمدى) ..

لقد قرّر مدير المخابرات ضمّ (حسام حمدى) إلى (أدهم) و (منى) فى محاولة لتحقيق أفضل النتائج، فى هذه الحرب الجديدة ..

حرب الجواسيس ..

وفى الوقت نفسه، الذى سافرت فيه (منى) إلى (روما)، وانطلق فيه (أدهم) إلى (لندن)، وطار (حسام) إلى (أمريكا)، كانت (سونيا جراهام) تلتقى بـ (أليكس ميلانوفيتش)، الجنرال السوفيتى السابق، الذى يحمل لقب (الصقر) ..

وكانت لديها خطة محدودة ..

خطة تعتمد على إثبات قوة منظمتها الجديدة، وترسيخ مكانتها فى العالم، والسيطرة عليه بشكل أسطورى، لم يحدث حتى فى أفلام المغامرات والخيال ..

وكان سبيلها الوحيد لتحقيق خطتها هو (أليكس ميلانوفيتش) ..

(الصقر) ..

كانت تخطط لتهديد العالم بخمسة رءوس نووية، تسرقها من الإمبراطورية المنهارة ..

من الاتحاد السوفيتى ..

أما (منى)، فقد نجحت فى جزء من خطتها فى (روما)، وكشفت سر الحجرة الخاصة لعميل (سناك) فى (روما)، (أنطونيو لويجى)، ولكن هذا الأخير شكّ فى أمرها، وأرسل خلفها ستة من الرجال لتدميرها، إلا أنها قاتلت بمهارة مدهشة، تليق بفتاة من المخابرات العامة المصرية، وأسرعت تعود إلى منزلها، لتقع فى فخ آخر ..

لقد وقعت فى قبضة الشرطة الإيطالية بتهمة التجسّس، مع أدلة تكفى لإلقائها خلف القضبان لربع قرن على الأقل ..

وفى الوقت نفسه، تقريبًا، كان (حسام) قد وصل إلى (أمريكا)، وبدأ بحثه عن صاحب الرقم المجهول، الذى محته (سونيا) بسلطاتها ونفوذها ونقودها تمامًا، من تاريخ شركة الهاتف الخاصة ..

وأثار (حسام) غضب الشركة كلها، بكل رجال أمنها، الذين هاجموه فى الطابق الرابع والعشرين من مبنى الشركة، وحاصروه فيه ..

ودوت طلقات النيران فى المبنى كله ..

وفى (لندن)، كان (أدهم) يحاول خداع السير (لانسلوت)، عميل (سناك)، الذى كشف أمر تنكره، بوسائله التكنولوجية الحديثة، ونجح فى أسره، وهدّد بقتله فى حجرة إعدام خاصة، صنعها بنفسه، وبطبيعته السادية المهووسة ..

وفى نفس اللحظة التى بدأ فيها بث الغاز السام داخل الحجرة، كانت هناك مفاجأة جديدة تنتظر (أدهم) ..

لقد فاجأه (لانسلوت) بأنه صار أعمى ..

رجل المستحيل فقد بصره ..

وعليه وهو فى هذه الحالة أن يواجه الموت ..

الموت بلا رحمة(★) .

★ ★ ★

«الواقع يا سنيورا أن موقفك سيئ للغاية» ..

نطق المحقق هذه العبارة، وهو يتطلع إلى (منى)، التى بذلت قصارى جهدها لتبدو هادئة متماسكة، وهى تجلس أمامه فى إدارة الأمن، وهزّ هو رأسه، قبل أن يتابع :

(★) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (الصقر الأعمى) .. المغامرة رقم (٩٧) .

ـ ولست أدرى فى الواقع ما الذى يدفع أمريكية مثلك إلى فعل كل هذا .. لقد تلقينا بلاغًا يتهمك بالجاسوسية، وعندما ذهبنا لتفتيش المنزل، الذى تعيشين فيه، كانت فى انتظارنا كومة مدهشة من المفاجآت .. أوراق تحمل صورتك، مع ثلاثة أسماء أخرى مختلفة، وعدد من الأسلحة غير القانونية، وجهاز تسجيل وتصنت، وقنبلة يدوية ..

قالت بابتسامة تفوح منها رائحة السخرية :

ـ أنا مؤلفة بوليسية، وهذه الأشياء تفجّر الوحى فى أعماقى .

مطّ شفتيه، معلنا عدم هضمه لذلك التفسير، ثم تابع دون تعليق :

ـ ثم جاءت عودتك، لتضيف قنبلة جديدة من المفاجآت .. لقد باغتّ رجالنا بقفزة مدهشة من النافذة، ثم اشتبكت معهم فى قتال عنيف، يشفّ عن مهارة كبيرة فى القتال، لا تناسب أبدًا كاتبة رومانسية .

قالت فى برود :

ـ بوليسية .

فاستطرد هو بسرعة :

- لاتناسب أى أديب على الاطلاق .. والأدهى أنك أطلقت النار على أحدهم ، قبل أن يتم إلقاء القبض عليك .

هزت كتفيها ، قائلة :

- كنت ادافع عن نفسى .

قال فى دهشة :

- تدافعين عن نفسك ؟!

أجابت بسرعة :

- بالطبع .. ماذا تفعل أنت لو كنت فى مكانى ، وعدت إلى منزلك ، لتجد بعض الناس يعبثون به ؟

قال فى صرامة :

- إننى لن أعود إلى منزلى عبر النافذة .

قالت فى حزم :

- لايوجد قانون يمنعنى من دخول منزلى من حيث أشاء .

هتف :

- والمسدس .. من أين حصلت عليه ؟

قالت ساخرة :

- يا له من سؤال !.. ألاتعلم حقًا أنه من السهل الحصول على مدفع مضاد للطائرات ، من شوارع (روما) ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يقول فى ضيق :

- من الواضح أننا سنستغرق وقتًا طويلًا معًا يا سنيورا .

هزت كتفيها مرة أخرة ، وقالت :

- هذا لايسعدنى على أية حال .

تطلع إليها لحظة فى صمت ، ثم سألها بغتة :

- ماذا وضعت من مؤلفات يا سنيورا ؟

أجابته فى هدوء :

- أنا كاتبة ناشئة .

تراجع فى مقعده ، قائلًا :

- حسن .. أين مخطوطات كتابك الجديد ؟

أجابت مبتسمة :

- لم أبدأ فى كتابتها بعد .

فتح شفتيه ليبدأ حديثًا جديدًا ، لولا أن دخل أحد رجاله فجأة ، وقال :

- رسالة هامة أيها المفتش .

وناوله إياها ، وهو يرمق (منى) بنظرة لم ترق لها أبدًا ..

كانت تحمل مزيجًا من السخرية والشماتة والبغض والشراسة ..

مزيج جعل قلب (منى) يخفق فى قوة ، وهى تتساءل .

ماذا يخفى لها هذا الرجل بالضبط ؟..

ولكن المفتش انتزعها من تساؤلاتها هذه ، وهو يعتدل فجأة ، قائلًا :

- سنيورا (فورستر) .. أنت تعلمين حساسية التعامل الدائمة ، بيننا وبين الأمريكيين .. ومن أجل هذه الحساسية ، بادرت فور إلقاء القبض عليك ، بإبلاغ السفارة الأمريكية ، حتى لايتم اتهامنا فيما بعد بأننا تجاوزنا الحدود ، مع مواطنة أمريكية .. والآن فقط وصلنى رد السفارة .

لوّح بالورقة فى يده ، وهو يقول :

- لقد أكدوا أن (ناديا فورستر) مواطنة أمريكية .

أدهشها هذا بالفعل ، ولكنها هتفت فى أعماقها :

- يا لها من دقة .

أما لسانها ، فقال فى هدوء :

- وماذا كنت تتوقع أن تجد ؟

ولكن حاجبيه انعقدا فى غضب شديد ، وهو يقول فى حدة :

- ولكنها لست أنت حتمًا .

انعقد حاجباها بدورها ، فواصل هو فى غضب :

- (ناديا إدوارد فورستر) ليست كاتبة بوليسية ، أو رومانسية .. وليست حتى باحثة تاريخية .. إنها مجرد طفلة لرجل أعمال أمريكى ، ماتت بالتهاب رئوى حاد منذ ثلاثين عامًا ، وهى لم تتجاوز الخامسة من عمرها .

ثم مال نحو (منى) ، مستطردًا فى عنف :

- السؤال الآن هو .. من أنت بالضبط ؟

تمالكت جأشها ، واعتدلت على مقعدها ، وقالت فى حزم :

- (ناديا فورستر) .

تراجع فى حركة حادة ، ورمقها بمقت شديد ، ثم التفت إلى الرجل الذى أحضر الخطاب ، وقال فى عصبية :

- أعدها إلى زنزانتها يا (روبرتو) .

ارتسمت على شفتى (روبرتو) ابتسامة بدت لها وحشية شرسة ، وهو يجذبها من ذراعها فى خشونة ، قائلًا :

- هيا .

وعلى الرغم من الأغلال فى معصميها ، راودتها فكرة الفرار ، لولا أنها كانت داخل دائرة الأمن ، ووسط جيش من رجال الشرطة ..

ولكن موقفها سيئ بالفعل ..

لقد كشفوا زيفها ، ولن يلبث جواز سفرها أن يعلن حقيقته ، وتتعقد الأمور أكثر وأكثر ..

ثم إنهم سيعيدونها إلى زنزانتها ، ثم يتمّ ترحيلها إلى السجن ، حتى ينتهى البت فى قضيتها ..

وهناك يمكن أن يحدث الكثير ..

إنها تعلم هذا جيدًا ..

تعلم مايمكن أن يفعله رجال العصابات داخل السجون ..

إنها ستجد فى السجن عشرات المجرمات ، اللاتى يعملن لحساب (أنطونيو لويجى) ..

أو سيعملن لحسابه ..

ستجد نفسها محاصرة بالعشرات ، اللاتى يتحيّنَّ الفرصة للانقضاض عليها ، وطعنها فى ظهرها ، أو ذبحها وهى نائمة ..

أو حتى يفتعلن مشاجرة معها ..

أو مع غيرها ..

ووسط الصراخ والصراع والاضطراب والارتباك ، تتسلّل إليها إحداهن ، حاملة مدية حادة ..

ثم طعنة وسط الزحام ..

ودماؤها تسيل فى صمت ..

و ...

وينتهى أمرها إلى الأبد ..

إنها تعلم أن هذا ما سيحدث ..

خبرتها السابقة أنبأتها بهذا(★) ..

لهذا لابد أن تخطط للهرب ، قبل أن ...

« اذهبى .. » .

قاطعتها الكلمة فجأة ، واعترضت أفكارها ، فانتبهت إلى أنها تقف مع (روبرتو) هذا عند الباب الخلفى لإدارة الأمن ، والذى يطل على شارع خلفى ضيق صامت ، يفتقر إلى العناية ..

وفى دهشة ، التفتت إلى (روبرتو) ، الذى دفعها إلى الأمام فى خشونة ، مكررًا :

ـ قلت اذهبى .. قبل أن أتراجع فى رأيى .

تحرّكت خطوتين إلى الأمام ، وهى تتساءل : هل يدفعها للفرار ؟..

هل يدعوها إلى الهرب ؟..

وقبل أن تحسم رأيها ، رأت (روبرتو) يقفز فجأة إلى الخلف ، ويصرخ :

ـ النجدة .. السجينة تحاول الفرار .

عندئذ فقط أدركت ما يسعى إليه ، ولكنه انتزع مسدسه فى اللحظة نفسها ، وعيناه تحملان ذلك المزيج من السخرية والشماتة والبغض ، و ...

وأطلق النار .

★ ★ ★

(★) راجع قصة (الثعلب) .. المغامرة رقم (٨٦) .



ولكنه انتزع مسدسه فى اللحظة نفسها ، وعيناه تحملان ذلك المزيج من السخرية والشماتة والبغض ..

٢ ـ لعبة الصقر ..

« لم يعد هناك شىء على ما يرام .. » .

نطق رجل المخابرات السوفيتى السابق هذه العبارة فى حنق ، ولوّح بكفه وهو يستطرد فى ضيق ساخط :

ـ لقد أفسد (جورباتشوف)(★) كل شىء ، عندما سعى لإلغاء النظام ، الذى نشأنا فى كنفه .. كانت لنا سلطتنا وسطوتنا .. هل تعلمَ .. لم يكن أحد من جيرانى يجرؤ على أن يطلّ برأسه من النافذة ، فى موعد عودتى إلى العمل .. والآن يا للسخرية .. إنهم يأبون حتى مصافحتى .

تمتم (فكتور مالينوف) فى حذر :

(★) ميخائيل جورباتشوف : سكرتير الحزب الشيوعى ، ورئيس الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٥م ، أدى وجوده إلى حدوث تغيرات جذرية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث تزعّم سياسة الإصلاح والمصارحة ، ومنح الكثير من الحريات ، وحاول تغيير النظام كله ، بحيث يصبح أكثر انفتاحًا وديموقراطية ، ولقد حصل على جائزة (نوبل) للسلام ، عام ١٩٩٠م ، ثم خلفه (بوريس يلتسن) ، بعد انقلاب فاشل .

- كل شىء يتغيّر .
صاح الرجل :
- ولكن هذا التغيير إلى الأسوأ .
واندفع يعدّد المثالب والمساوئ ويقارن بين عهد الشيوعية وما بعده ، و (فكتور) يستمع إليه فى صمت ، دون أن يؤيده حتى بإيماءة رأس ، ثم لم يلبث أن قال :
- لقد وصلت إلى منزلى .. فلنكمل حديثنا فى وقت لاحق .
غادر السيارة فى سرعة ، وكأنه يفرّ من الجحيم ، وأسرع يصعد إلى منزله ويدس مفتاحه فى ثقب بابه ، مغمغمًا :
- ما لنا والعهد الماضى .. لقد ذهب كل شىء ولن يعود ..
قالها فى حسرة واضحة ، وفتح باب منزله ، ودلف إليه ، و ...
« أهلًا أيها الرفيق (فكتور) .. » .
انتفض جسده فى عنف ، عندما سمع هذه العبارة ، واستدار فى حدة إلى مصدرها ، وهو يضىء أنوار الردهة فى سرعة ، ثم ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يهتف :
- (الصقر) ؟!

ابتسم (ألكس ميلانوفيتش) ، وهو يقول :
- نعم .. هو أنا يا عزيزى (فكتور) .. مضت فترة طويلة ، منذ التقينا آخر مرة .
اندفع (فكتور) يصافحه فى حرارة ، وهو يقول :
- مرحبًا بك يا (ألكسى) .. متى عدت إلى الوطن ؟.. لقد أخبرونا أنك هاجرت إلى (أمريكا) .
ابتسم (ألكسى) ، وقال :
- إنه الحنين إلى ثلوج الوطن يا عزيزى .
تراجع (فكتور) ،وعاودته دهشته البالغة ، وهو يقول :
- ولكن كيف دخلت إلى هنا ؟
قلب (ألكسى) كفيه ، وهو يبتسم قائلًا :
- أنت تعرف أن لى أساليبى .
هتف (فكتور) :
- ولكن هناك جنديين للحراسة .
هزّ (ألكسى) كتفيه ، وقال :
- ولو .
ثم اعتدل فى مقعده ، واستطرد بسرعة ، حتى لا يمنحه فرصة إلقاء سؤال آخر :
- المهم يا صديقى .. ماذا تفعل مع المسئولين الجدد ؟

تنهّد (فكتور) فى مرارة ، وألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :
- لم تعد الأمور كسابق عهدها أيها (الصقر) .. هيبتنا العسكرية ضاعت ، الاقتصاد فى طريقه للانهيار ، و (يلتسن) يخوض معاركه السياسية ، مع (حسبو اللاتوف) ، والروبل ينخفض ، والجريمة تنتشر ..
ثم تنهّد مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :
- بصراحة .. الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ .
تراجع (ألكسى) ليضطجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يبتسم فى مكر ، قائلًا :
- وماذا عن أحوالك المالية ؟
قلب (فكتور) شفته فى امتعاض ، وهو يقول :
- لقد ضاعفوا راتبى ، ولكن التضخم وانخفاض قيمة الروبل(★) يبتلعان كل شىء .
هزّ (ألكسى) رأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :
- إننى أقدّر هذا .
ثم مال نحوه ، وسأله فجأة :
- ما رأيك فى ثلاثة ملايين دولار ؟

(★) الروبل : العملة الروسية الرسمية .

اتسعت عينا (فكتور) فى دهشة ، وشهق فى قوة ، قبل أن يهتف :
- ثلاثة ملايين دولار .. هل ستطالبنى بقتل (يلتسن) نفسه ؟
قهقه (ألكسى) ضاحكًا ، وقال :
- لا أعتقد أن مصرعه يستحق مبلغًا كهذا .
ثم استعاد جديته بغتة ، وهو يستطرد :
- إنك ستحصل على المبلغ مقابل أشياء أخرى .
سأله (فكتور) فى دهشة :
- مثل ماذا ؟
تطلّع (ألكسى) إلى عينيه مباشرة بعض الوقت ، ثم تراجع فى هدوء ، قائلًا :
- أما زلت تحتل منصب مسئول المخازن النووية .
انعقد حاجبا (فكتور) فى شدة ، وهو يقول فى حذر قلق :
- (ألكسى) .. ماذا تريد بالضبط ؟
ابتسم (ألكسى) ابتسامة كبيرة ، وهو يسترخى فى مقعده ، ويقول فى هدوء شديد :
- كل خير يا صديقى .. كل خير .. أعرنى سمعك ، وسأشرح لك الأمر كله .

مال (فكتور) نحوه فى اهتمام ..
وشرح هو ما لديه ..
وكانت دهشة (فكتور) كبيرة ..
كبيرة للغاية ..

★ ★ ★

لم يكن هناك وقت أو مجال للتردد ، و (حسام) محاصر داخل حجرة (بيكويك) ، فى الطابق الرابع والعشرين ، من ناطحة السحاب ، التى تحتلها شركة الهاتف الخاصة ، فى قلب (نيويورك) ، ورجال أمن المبنى يسعون لاقتحامها بمسدساتهم وبنادقهم ..

وفى توتر ، ابتسم (حسام) ، وقال :

ـ يبدو أننا سنستنفد كل الوسائل دفعة واحدة .

وبسرعة ، فتح حقيبته ، والتقط منها معجون الأسنان والفرشاة وزجاجة العطر ، ودسَّها فى جيوبه ، ثم تحرَّك نحو النافذة ، متجاهلًا الطرقات العنيفة على باب الحجرة ، ودوى الرصاصات التى تصيب رتاجه ، وألصق الحقيبة إلى جوار النافذة العريضة مباشرة ، ثم جذب رتاجيها فى قوة ، فى عكس الاتجاه الطبيعى ، وسمع صوت آلة الشفط القوية ، التى ألصقها بالجدار ، بقوة نصف طن ، وضغط زرين خفيين ، على جانبى مقبض الحقيبة ، ثم انتزعه من مكانه ، وتطلَّع إلى الحبل الرفيع المتين ، الذى يمتدّ من المقبض إلى داخل فراغ سرى فى الحقيبة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ مرحى يا (حسام) .. هكذا يمكنك تقليد أفلام الزميل (جيمس بوند) .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، اقتحم رجال الأمن الحجرة ، وصوَّبوا إليه أسلحتهم ..

ودوت طلقات الرصاص فى المبنى كله ..

ولكنها كانت رصاصات مسدس (حسام) ..

لقد استدار بسرعة يواجه رجال الأمن ، فور اقتحامهم الحجرة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ أين أنتم أيها السادة ؟!.. لقد اشتقت إليكم .

ثم أطلق النار ..

أطلق ثلاث رصاصات صائبة ، أجبرت رجال الأمن على التراجع ، دون أن يطلق أحدهم رصاصة واحدة ، ثم استدار إلى النافذة الزجاجية السميكة ، وأفرغ فيها ما تبقَّى من رصاصاته ..

وتحطَّمت النافذة بدوى عنيف ، امتزج بصوت قائد رجال الأمن ، وهو يصرخ فيهم :

ـ لا تتراجعوا .. هاجموا أيها الجبناء .

ودفعهم أمامه دفعًا ، فانقضوا على الحجرة مرة ثانية ، ولكن ما إن اقتحموها حتى اتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما رأوا (حسام) يثب عبر النافذة المحطَّمة ، وهو يهتف ساخرًا :

ـ إلى اللقاء أيها الأوغاد .

ومع قفزته ، جذب مقبض الحقيبة ، فأشعل محرِّكًا خفيًا داخلها ، ساعده على الهبوط بسرعة محدودة ، بوساطة الحبل الممتد من الحقيبة ..

وأمام عيون المارة الذاهلة ، هبط (حسام) بمحاذاة المبنى ، عبر أربعة وعشرين طابقًا ، وهو يهتف :

ـ آه .. وكأنى أهبط بمظلة واسعة .

كان يقترب من الأرض بسرعة معقولة ، تجعل ارتطامه بها محدودًا للغاية ، وكأنه وثب من نافذة الطابق الأول ، وابتعد المارة فى سرعة عن موضع هبوطه ، فى حين اتسعت عيون الآخرين فى دهشة بالغة ، وتصوَّر البعض أنه أحد أفلام المغامرات الأمريكية ، يتم تصويره فى المكان ، فى حين رجَّح البعض الآخر أن يكون هذا إعلانًا للشركة ..

ووسط كل هذه الآراء والتخمينات ، واصل (حسام) هبوطه ، وهو يهتف :

ـ ابتعدوا أيها السادة .. أخلوا منصة الهبوط ..

ولكن فجأة ، انتهى طول الحبل ..

انتهى على ارتفاع خمسة أمتار من الشارع ، وجذب جسد (حسام) فى عنف ، فهتف :

ـ لا .. أكمل طريقك يا هذا .

وفى اللحظة نفسها ظهر أحد رجال الأمن ، وهو يغادر المبنى ، وينتزع مسدسه، هاتفًا :

ـ ماذا تفعل يا هذا ؟.. سلم نفسك قبل أن ..

ولكن (حسام) أفلت المقبض ، قبل أن يتمّ الرجل عبارته ، وهوى من ارتفاع خمسة أمتار ..

هوى على رأس رجل الأمن مباشرة ..

وسقط الاثنان أرضًا فى عنف ، والرجل يصرخ :

ـ النجدة .. إنه يهاجمنى .

هبَّ (حسام) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

ـ لا تقل هذا يا رجل .

ثم وثب ليركله فى وجهه ، مستطردًا فى سخرية :

ـ قل : إنه هزمنى .

سقط الرجل أرضًا فاقد الوعى ، فى حين اندفع (حسام) يعدو بين المارة ، هاتفًا :

ـ ابتعدوا أيها السادة .. أنا مضطر للرحيل .

وقبل أن يقطع ثلاثة أو أربعة أمتار ، ارتفع من خلفه صوت يهتف :

ـ ها هو ذا .

ثم انطلق بوق سيارة شرطة تطارده ..

وأصبح من الواضح أن الأمور تزداد تعقيدًا ..

ولكن (حسام) لم يتوقَّف ..

لقد ظلّ يعدو ، عبر الشارع الواسع ، وسيارة الشرطة تطاردة فى إصرار ، حتى انحرف فى شارع جانبى آخر ..

وانحرفت خلفه سيارة الشرطة ..

ولم يكد (حسام) يقطع ثلاثة أمتار داخل الشارع ، حتى وجد مفاجأة فى انتظاره ..

لقد كان ذلك الشارع الجانبى ينتهى بجدار يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار على الأقل ..

جدار يعنى أن المطاردة قد بلغت نهايتها ..

ولكن (حسام) لم يتوقَّف ..

وكذلك سيارة الشرطة ..

لقد انطلق يعدو نحو الجدار ، والسيارة تطارده فى إصرار ، حتى بلغ نهاية الشارع ، فابتسم رجل الشرطة الذى يقود السيارة ، وهو يقول لزميله :

ـ والآن فلنر ماذا سيفعل ذلك المتحذلق ؟

قال زميله فى سخرية :

ـ ليس أمامه سوى أن يقفز عبر الجدار .

هتف الأوَّل ضاحكًا :

ـ إنه أمر بسيط ، بالنسبة لـ (سوبرمان)(*) .

ولكن عيونهما اتسعت فى دهشة بالغة ، عندما وثب (حسام) بالفعل نحو الجدار ..

صحيح أنه لم يتجاوز الأمتار الأربعة فى قفزته هذه ، ولكنه بدا وكأنه يعدو رأسيًا إلى أعلى على جانب الجدار ، قبل أن يدور جسده دورة رأسية خلفية بهلوانية مدهشة ، فيتجاوز مقدمة سيارة الشرطة ، ويهبط فى مرونة على سطحها ..

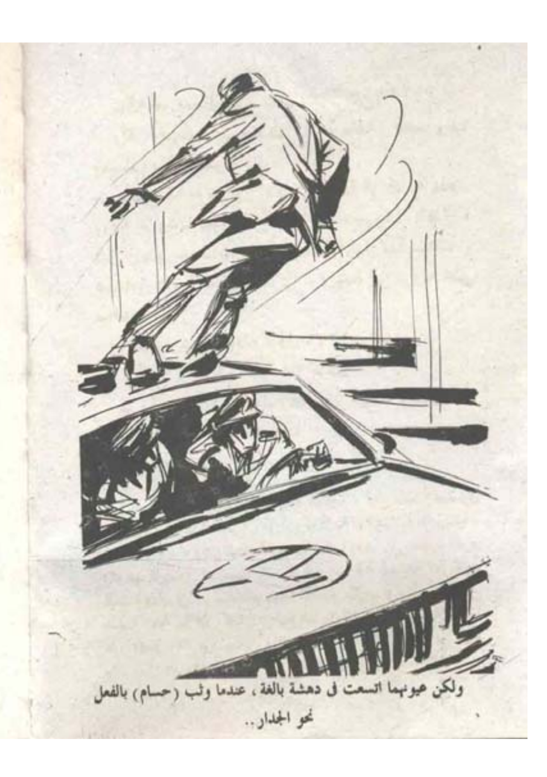
وشهق رجل الشرطة الأوَّل ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. كيف فعلها هذا الرجل ؟

ثم دفع باب السيارة ، وقفز خارجها ، وهو يستلّ مسدسه ، وتبعه زميله صائحًا :

ـ سنجبره على أن يشرح لنا هذا .

(*) (سوبرمان) : شخصية خيالية ، ابتكرها (جيرى سيجال) ، و (جوشاستر) ، فى ذروة الأزمة الاقتصادية الأمريكية ، عام ١٩٣٨ م ، وهى لبطل قادم من كوكب بعيد ، فى مجرة أخرى (كوكب كريبتون) ، حيث يكتسب قوى خارقة فى جو الأرض ، فيمكنه الطيران ، واستخدام عينيه كمنظار مقرّب أو مكبّر ، ويطلق منهما أشعة حارقة ، كما أنه منيع ضد كل الأسلحة الأرضية ، فيما عدا عنصر (الكريبتونيت) ، ولقد صارت هذه الشخصية ، فى فترة ما ، رمزًا لأمريكا كلها .



ولكن عيونهما اتسعت فى دهشة بالغة ، عندما وثب (حسام) بالفعل نحو الجدار..

ولكن (حسام) هتف :

ـ مرحبًا .

وبركلة قوية من قدمه اليمنى ، أطاح بمسدس قائد السيارة ، قبل أن يثب إلى الجانب الأيسر ، ويمسك معصم الآخر ، ليبعد المسدس عنه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لقد أثرت فضولى يا رجل .

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

ـ كيف ستجبرنى على هذا .

سقط الرجل فاقد الوعى ، إلى جوار السيارة ، فانحنى (حسام) يلتقط مسدسه ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها رجل الشرطة الآخر ، ليستعيد مسدسه هاتفًا :

ـ ألا تدرى عقوبة مقاومة الشرطة يا هذا ؟

بلغ (حسام) مسدسه فوثب بسرعة ، وتدحرج أرضًا متفاديًا رصاصة أطلقها الشرطى الآخر ، وهو يهتف :

ـ كلا .. لست أعلم هذا .

ثم اعتدل فى مرونة ، ليطلق النار ، وأطاح بمسدس الشرطى الآخر ، مستطردًا فى سخرية :

ـ أخبرنى أنت .

تراجع الشرطى فى توتر ، واحتقن وجهه بشدة ، عندما فقد مسدسه ، والتصق بالجدار ، قائلًا فى عصبية :

- إياك أن تُطلق النار .
أجابه (حسام) فى هدوء :
- ليس فى نيتى أن أفعل .
ودار حول السيارة ليتقدَّم نحوه ، فقال الرجلُ فى عصبية :
- ماذا تريد إذن ؟
هوى (حسام) على رأسه بغتة بكعب مسدسه ، قائلًا :
- سيارتك .
سقط الشرطى فاقد الوعى ، إلى جوار زميله ، فانحنى (حسام) ينزع عنه ثيابه ، مستطردًا :
- وثيابك .
أبدل بثيابه ثياب الشرطى فى سرعة ، ثم استقل سيارة الشرطة ، وعاد بها إلى الخلف ، ليخرجها من الشارع الضيق ، واعتدل لينطلق فى الشارع الرئيسى ، و ...
وفجأة ، وجد نفسه فى مواجهة سيارة شرطة أخرى ، هتف به قائدها فى دهشة بالغة :
- من أنت ؟.. وماذا تفعل فى سيارة (جورج) ؟
ولم يعد هناك مجال للتراجع ..
وضغط (حسام) دوّاسة الوقود بكل قوته ..

وانطلقت سيارته بسرعة مدهشة ، وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ..
وهتف قائد السيارة الأخرى :
- إنه محتال .
وضغط دوّاسة وقود سيارته بدوره ..
وبدأت مطاردة مثيرة ، فى شوارع واحدة من أكثر المدن (ازدحامًا بالسكان) فى العالم أجمع ..
فى (نيويورك) ..

★ ★ ★



٣ - أسير الظلام ..

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يسمع صوت الغاز القاتل ، الذى يتسرَّب داخل حجرة الإعدام ، والظلام يحيط به من كل جانب ، وصوت سير (لانسلوت) يتردَّد عبر مكبِّر صوتى ، وهو يقول فى مزيج عجيب من السخرية والإشفاق والتلذذ :
- يالها من نتيجة مأساوية عجيبة !!.. هل تعلم أن العقار المخدِّر الذى استخدمناه معك ، يمكن أن يسبب فقدان البصر ، ولكن بنسبة محدودة للغاية .. نسبة لاتتجاوز الخمسة فى كل ألف مرة .. إنه سوء حظك إذن يامستر (أدهم) .. أن تفقد بصرك مع العقار .. ولكن لاتحزن كثيرًا لهذا .. إنك لن تعانى فقدان البصر لفترة طويلة ، إذ أن هذا الغاز ، الذى يتسرَّب إليك فى بطء ، لن يلبث أن يملأ الحجرة كلها ، ويصيبك ببعض التشنجات ، والالتهابات العصبية .. ستكون الآلام رهيبة ، ولكنها لن تستغرق طويلًا .. ساعة أو ساعتين على الأكثر ، وبعدها تشعر وكأن أطرافك تشتعل ، وتنهار حواسك كلها ، ثم تلفظ أنفاسك بعد ساعة أخرى ، بسبب الهبوط فى الدورة التنفسية ، واحتراق الجهاز العصبى .

قال (أدهم) فى سخرية :
- يا لها من ميتة رومانسية !
صمت (لانسلوت) لحظـات ، ثم قال فى شىء من الحدة :
- ألا يقلقك كل هذا ؟
مرَّر (أدهم) مفتاح سيارته على الجدار فى قوة ، فتألقت مع الاحتكاك شرارات صغيرة ، وهو يقول فى لامبالاة :
- ولماذا يقلقنى .. الموت واحد فى كل الأحوال .
قال (لانسلوت) فى حدة :
- وماذا عن الألم ، والعذاب ، وال ...
قاطعه (أدهم) ساخرًا :
- إننى أعشقها .
صمت (لانسلوت) لحظات أخرى ، ثم قال فى عصبية :
- هناك وسائل أخرى للقتل ، أكثر إيلامًا وعذابًا .
قال (أدهم) بسرعة :
- كرؤية وجهك الكريه مثلًا .
قالها وقهقه ضاحكًا على نحو استفزازى ، جعل (لانسلوت) يهتف :
- ما الذى تحاوله بالضبط ؟

قال (أدهم) متهكمًا :

ـ أن أثبت أنك أغبى سادى عرفته ، فى حياتى كلها .. إنك حتى لم تتقن خدعتك ، ولم تحاول استجوابى ، لمعرفة ما لدى ، قبل أن تتخلص منى ، وهذا يعنى أنك مجرد هاو يا سير (لانسلوت) .. هاو لم يتقن قواعد اللعبة بعد .

صاح (لانسلوت) :

ـ أنت تقنعنى بأنك تستحق القتل .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ أما أنت ، فلم تقنعنى بخدعة فقدان البصر هذه .

بُهت (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ لم أقنعك بماذا ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ هل تذكر احتكاك مفتاح سيارتى بالجدار ؟.. لقد صنع شرارات صغيرة .. وأنا رأيت هذه الشرارات ، وعلمت أننى لم أفقد البصر ، كما حاولت أن توهمنى ، لتتلذذ برؤيتى أتعذب وأتألم وأعانى .. وأعتقد أنك حتى لم تطلق أى نوع من الغازات القاتلة هنا .. ربما هو مجرد صوت مسجل ، داخل حجرة محكمة الإغلاق ، وشديدة الإظلام .. وأراهن أنك تراقبنى الآن من مكان ما ، بوساطة أشعة تحت الحمراء مثلًا ، لتسعد برؤية ذعرى وخوفى .. ألم أقل لك : إنك رجل سادى يا سير (لانسلوت) .. سادى وغبى وهاو أيضًا .

ران الصمت لحظات ، تمنى (أدهم) خلالها أن تكون كلماته الساخرة قد نجحت فى استفزاز سير (لانسلوت) ، قبل أن يهتف هذا الأخير فى صرامة :

ـ أشعلوا الأضواء .

كاد (أدهم) يطلق زفرة ارتياح ، عندما اشتعلت أضواء الحجرة ، وملأ عينيه وعقله ، ولكنه حافظ على هدوئه الظاهرى ، وابتسامته الساخرة ، حتى ارتفعت جدران الحجرة ، لتبدو من خلفها قاعة واسعة ، يجلس فيها (لانسلوت) ، أمام جهاز رصد خاص ، للأشعة دون الحمراء ، وحوله ستة من رجاله ، صوبوا مدافعهم الآلية نحو (أدهم) ، و (لانسلوت) يقول :

ـ تقدم يا مستر (أدهم) .

شد (أدهم) قامته ، وعدل ثيابه فى هدوء ، قبل أن يتجه نحو (لانسلوت) ، ولكنه لم يكد يقترب منه ، إلى مسافة ثلاثة أمتار ، حتى أشار (لانسلوت) فى عصبية :

ـ هذا يكفى .

وتحفزت أصابع رجاله على أزندة مدافعهم ، فتوقف (أدهم) ، وقال فى سخرية :

ـ آه .. أشكرك يا سير (لانسلوت) لأنك ما زلت تشعر بالخوف منى .

عقد (لانسلوت) حاجبيه بشدة ، وهو يقول :

ـ لقد حذرنى (جوان) منك كثيرًا ، ولا مبرر للمخاطرة .

مرة أخرى تكرر اسم (جوان) هذا ، فقال (أدهم) :

ـ أتقصد (جوان برنارد) ؟

أجابه :

ـ بل مسز (جوان آر....) .

وبتر الاسم فجأة ، قبل أن يكمله ، وقال فى خشونة :

ـ دعك من اسمها .. المهم أنها تعرف قدراتك ، وتحذرنا من الاستهتار بها .

ثم مال إلى الأمام ، وهو يستطرد فى عصبية :

ـ وأنا لست هاويًا كما تتصور يا مستر (أدهم) .. إننى لم أفكر فى قتلك قبل استجوابك بالطبع ، وإنما أطلق على هذا اسم (اختبار الثقة والمتانة) .. إننى أضع الخصم فى أسوأ ظروف ممكنة ، بحيث يصبح انهياره جسديًا ونفسيًا ، قاب قوسين أو أدنى ، لأرى كيف سيواجه هذه الظروف .

وتراجع رامقًا (أدهم) بنظرة نارية ، وهو يضيف :

ـ والواقع أنك أفضل شخص اجتاز هذا الاختبار .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، ووضع يده على قلبه ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !.. كم أشكرك يا سير (لانسلوت) .. قلبى يخفق فى قوة ، من تأثير عطفك السامى ، إننى ..

قاطعه (لانسلوت) فى غضب :

ـ ولكن الأمر لم ينته بعد .

تطلع إليه (أدهم) فى برود ، متمتمًا :

ـ حقًا ؟!

قال (لانسلوت) فى حدة :

ـ نعم يا مستر (أدهم) .. إننا سنبدأ فى استجوابك ، لنعرف كل ما تخفيه ، وكل ما أتيت من أجله ، قبل أن نبلغ (جوان) ..

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ ما هذا ؟!.. اختبار آخر .

انعقد حاجبا (لانسلوت) فى شدة ، وهو يقول :

ـ بل واقع يا مستر (أدهم) .. واقع سيتضاءل إلى جواره الجحيم نفسه .

ثم أشار إلى رجاله الستة ، وقال :

ـ خذوه إلى قبو الاستجواب .

بقى ثلاثة رجال حوله ، فى حين تقدم الثلاثة الآخرون نحو (أدهم) ، وهم يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز ، فابتسم هو فى سخرية ، وقال :

- قل لى يا سير (لانسلوت) .. لماذا يسرف أمثالك فى الحديث عن الجحيم وويلاته .. هل تشعرون بالألفة معه ؟

أجابه (لانسلوت) فى عصبية :

- عندما تذهب إلى القبو ، ستجد الجواب بنفسك .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

- ومن يرغب فى الذهاب إلى ذلك القبو .

قالها وتحرَّك فجأة فى نشاط مدهش مباغت ، فانحنى فى سرعة ، وجذب مدفعًا آليًا من يد أقرب الرجال إليه ، وهو يرفع فوهته عاليًا ، واستقبل صاحبه بلكمة كالقنبلة فى أنفه ، ووثب بغتة فى رشاقة ، وركل الرجل الثانى فى فكه ، ثم دار فى مرونة مذهلة ، ليطيح بمدفع الثالث بركلة مماثلة ، وهبط على قدميه ، وهو يدير المدفع الذى التقطه فى يديه ، ويضرب الرجل بكعبه فى فكه ، فيلقيه أرضًا فى عنف ..

كل هذا فى زمن قياسى ، جعله يُسقط الرجال الثلاثة ، قبل أن يستوعب زملاؤهم المفاجأة ، ويبدءون فى تصويب أسلحتهم إليه ..

ولكن الفرصة كانت قد انتهت ..

لقد أطلق هو نيران مدفعه أوَّلًا ، وأطاح بمدافع الرجال الثلاثة ، قبل أن يقول فى سخرية :

- والآن يا سير (لانسلوت) .. ماذا كنت تقول عن الجحيم ؟

اتسعت عينا (لانسلوت) فى ذهول ، وانكمش فى مقعده بشدة ، فأشار (أدهم) إلى الرجال الثلاثة بالابتعاد عن زعيمهم ، قائلًا :

- معذرة أيها الأوغاد .. لدى حديث منفرد مع وغدكم الأكبر .

تردَّد الرجال لحظة ، وهم ينقلون أبصارهم بين (أدهم) وسير (لانسلوت) ، ثم تذكَّروا كيف أصابت رصاصات الأوَّل مدافعهم ، وأطاحت بها إلى ركن القاعة ، دون أن تمس شعرة واحدة منهم ، فسرت فى أجسادهم قشعريرة باردة ، وابتعدوا فى سرعة إلى ركن القاعة ، فى حين اتجه (أدهم) إلى سير (لانسلوت) ، وألصق فوهة المدفع بصدغه ، وهو يقول فى لهجة آمرة صارمة :

- من هى (جوان) ، التى كنت تتحدَّث عنها .

ازدرد (لانسلوت) لعابه فى صعوبة ، وقال :

- ليس هذا من شأنك .

لم يكد ينطقها ، حتى هوت على فكه لكمة كالقنبلة ، جعلته يبتلع لسانه ، وانتزعته من مقعده ، وألقت به أرضًا فى عنف ..

وتوتر الرجال الثلاثة فى عصبية ، لما أصاب زعيمهم أمام أعينهم ، ولكن (أدهم) أدار فوهة المدفع إليهم ، وقال :

- لاداعى للأفكار الحمقاء أيها الأوغاد ، فهناك وسيلتان للتحدُّث مع زعيمكم على انفراد .. إما فى وجودكم ، مع احترامكم لخصوصية الحديث ، أو بعد رحيلكم إلى العالم الآخر .

ثم التفت إلى (لانسلوت) ، ومدّ يده إليه ، قائلًا :

- انهض يا سير (لانسلوت) ، لتخبرنى من هى (جوان) هذه .

مسح (لانسلوت) خيط الدم ، الذى يسيل من طرف شفتيه ، وهو يقول :

- لست أعرف عنها سوى اسمها الأوَّل ، و ...

أخرسته هذه المرة لكمة ساحقة على أنفه ، الذى تفجَّرت منه الدماء غزيرة ، والرجل يسقط أرضًا مرة ثانية فى عنف ، ويصرخ :

- لقد حطَّمت أنفى .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة شديدة التوتر ، دون أن يجرؤ أحدهم على مفارقة مكانه ، فى حين جذب (أدهم) (لانسلوت) فى عنف هذه المرة ، فأجبره على الوقوف ، وهو يقول فى صرامة :



ثم التفت إلى (لانسلوت) ، ومدّ يده إليه ، قائلًا :

- انهض يا سير (لانسلوت) ، لتخبرنى من هى (جوان) هذه ..

- فلتحمد الله على أن أنفك وحده هو الذى انكسر يا هذا ، ففى المرة القادمة لن أكتفى إلا بعنقك .

لوّح (لانسلوت) بذراعيه ، وقال :

- لا .. لاداعى لأية مرات قادمة .

ثم أشار إلى الجهاز ، الذى كان يراقب عبره (أدهم) ، وقال :

- ستجد كل المعلومات عن (جوان) هذه هناك .

وجرّ قدميه جرًا إلى الجهاز ، وضغط بعض أزراره ، وهو يقول :

- تقدّم وسترى بنفسك .

تحرّك (أدهم) متجهًا نحوه ، ولكنه فوجئ به يضغط زرًا آخر بسرعة ، هاتفًا فى حدة :

- سترى الموت بعينيك .

ومع ضغطة الزر ، انفتحت فجوة فجأة تحت قدمى (أدهم) ، وهوى جسده منها ، عبر نفق أسطوانى مائل ، راح ينزلق فيه فى عنف ، دون أن ينجح فى إيقاف ذلك ، حتى تجاوزه فجأة ، وسبح لحظة فى الفراغ ، ثم سقط فى مياه عميقة ، وغاص فيها لمتر أو يزيد ، قبل أن يصعد إلى السطح ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، هاتفًا :

- خدعك الرجل يا (أدهم) .

وفى اللحظة نفسها ، كان الرجال الثلاثة يندفعون نحو زعيمهم ، هاتفين :

- أحسنت يا سيّدى .. لقد تخلصت منه بمهارة حقيقية .

هتف فى مقت :

- كان يستحق هذا .

ثم مسح الدم الذى يسيل من أنفه وفمه ، مستطردًا فى حدة :

- (مور) .. استدع الطبيب بسرعة .. لقد شوّهنى ذلك الرجل تمامًا .

أسرع (مور) لتلبية مطلب سيّده ، فى حين راح زميله يفحص الثلاثة الذين فقدوا وعيهم ، قائلًا :

- يبدو أن دكتور (مانن) ، سيظل يعمل هنا حتى الصباح هذه المرة .

أما الثالث ، فقد اتجه الى الفجوة ، وتطلع داخلها لحظة ، ثم هتف :

- يا للشيطان !.. إنها عميقة للغاية .. هل تعتقد أنه سيغرق فى مياه الخندق السفلى يا سيّدى ؟

مطّ (لانسلوت) شفتيه ، وهو يقول :

- سيؤسفنى للغاية أن يحدث هذا .

ثم ابتسم فى سادية ، مستردًا :

- فصديقنا (كروكى) يحب تناول وجبته حية .

وانتقلت ابتسامته هذة المرة الى رجليه ..

أما(أدهم) ، فقد وجد نفسه داخل مجرى مائى مظلم ، يتحرّك تيار المياه فيه نحو بقعة مضيئة ، فسبح نحوها فى بطء ، وهو يتساءل عن معنى وجود مثل هذا المجرى المائى أسفل قصر سير (لانسلوت) ..

ولم تمض ثوان معدودة ، حتى بلغ (أدهم) تلك المنطقة المضيئة ..

كانت عبارة عن نافذة كبيرة ، مغلقة بقضبان معدنية متقاربة ، تمتد من أعلى الممر ، وحتى عمقه ، وتطلّ على امتداد المجرى المائى ، الذى يصنع ما يشبه الخندق ، الذى يلتف حول مبنى قريب من القصر ، وهو ذلك الذى استعاد هو وعيه فيه ، وتتسلّل عبرها بعض أضواء القصر ، التى تبدّد ظلام الليل فى المنطقة ..

وتمتم (أدهم) فى توتر :

- من الواضح أنك تجيد إعداد وسائل وأماكن الموت يا سير (لانسلوت) .

جذب القضبان ليدرس متانتها ، فوجد إنها شديدة القوة والمتانة ، مما جعله يتمتم فى ضيق :

- والآن يا (أدهم) .. ما سبيل الخروج من هذا الفخ الجديد ؟

عاد يختبر القضبان ، حتى شعر فجأة بشىء ما يتحرّك خلفه ، فاستدار بسرعة ، و ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

لقد كان أمامه مباشرة ، وعلى قيد متر واحد منه ، داخل ذلك النفق نصف المظلم ، تمساح هائل الحجم ، فتح فكيه عن آخرهما ، وهو يندفع نحو فريسته الجديدة ..

نحو (أدهم) .

(أدهم صبرى) .

* * *



٤ـ صفقة العصر ..

اتسعت عينا (فكتور مالينوف) فى دهشة بالغة ، وهو يستمع إلى حديث (ألكسى ميلانوفيتش) ، الذى اختصر فى عرض مطالبه ، واستفاض فى شرح الامتيازت والمكافآت والأرباح ، والعوائد ، و ...

وفجأة ، استوقفه (فكتور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ (ألكسى) .. أتدرك ما تطلبه منى بالضبط ؟

ابتسم (ألكسى) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ بل قل ما أعرضه عليك يا صديقى .. إننى أمنحك فرصة لن تتكرّر فى حياتك كلها .. صفقة العمر .. ثلاثة ملايين دولار مقابل خمسة رءوس نووية لم تعد مستخدمة ، ولن يتمّ استخدامها قط .. أى بواقع ستمائة ألف دولار للرأس الواحد .

هتف (فكتور) فى حدة :

ـ ولكن هذه الرءوس هى قوتنا يا (ألكسى) .. هى الدرع الذى ...

قاطعه (ألكسى) فى سخرية :

ـ هل ستردّد هذه الشعارات ؟

ارتفع حاجبا (فكتور) فى دهشة ، وهو يتطلّع إلى (ألكسى) ، الذى تابع بنفس اللهجة الساخرة :

ـ دعنا نفكّر بواقعية ومنطق يا رجل ، ونلقى على أنفسنا سؤالًا واحدًا .. هل يمكن حقًّا أن نستخدم هذه الرءوس النووية ؟!.. الجواب الواضح لكل ذى عقل هو لا .. من المستحيل أن يحدث هذا أبدًا .. إننا لم نستخدمها ، ولم نحاول ذلك ، أيام كنا إمبراطورية عظمى ، يشار إليها بالبنان ، ويعمل لها الجميع ألف حساب ، وتخشى خطرها (أمريكا) نفسها ، فهل يمكن أن نخاطر باستخدامها الآن ، بعد أن ذهبت هيبتنا ، وانهار كياننا ، وصرنا مجرّد دويلات مفكّكة ، منهارة اقتصاديًا واجتماعيًا ؟

تردّد (فكتور) لحظة أمام هذا المنطق ، ثم غمغم :

ـ من يدرى ؟.. ربّما ...

قاطعه (ألكسى) قبل أن يكمل :

ـ وحتى لو افترضنا أن أحد حكامنا أصيب بالجنون ، وقرّر شن حرب نووية .. كم رأسًا سيسمحون له بإطلاقها قبل أن يشنقوه ، أو يسحقوه سحقًا ؟.. خمسة رءوس ؟.. عشرة ؟.. فلنضع الرءوس الزائفة إذن فى نهاية القائمة ، ولن يكشف أحدهم زيفها قط .

انتبه (فكتور) فجأة ، على العبارة الاخيرة ، واعتدل فى اهتمام ، وهو يقول فى لهفة :

ـ الرءوس الزائفة ؟!.. إنك لم تذكر شيئًا عن تلك الرءوس الزائفة .

أدرك (ألكسى) عندئذ أن مناورته كانت صائبة ، فابتسم وهو يقول :

ـ هذا هو الجزء الأكثر عبقرية فى الخطة يا صديقى .

ثم مال نحوه فجأة ، وأكسب صوته نبرة اهتمام وحماس ، مع استطرادته :

ـ مقابل كل رأس نووى نحصل عليه ، سنمنحك رأسًا مشابهًا له تمام الشبه ، ويستحيل التفرقة بينهما ، لتوضع الرءوس الزائفة فى موضع الحقيقية ، ويسير كل شىء على ما يرام .

سأله (فكتور) ، وقد تسلّلت إلى صوته نبرة لهفة هذه المرة :

ـ وماذا عن النشاط الإشعاعى ؟

لوّح (أليكسى) بكفه ، قائلًا :

ـ لن يجدوا أى فارق .. سنقوم بطلاء الرءوس النووية بطبقة مدروسة للغاية من البلوتونيوم المشع ، بحيث تعطى دائمًا نفس النشاط الإشعاعى .

عقد (فكتور) حاجبيه ، وعاوده قلقه ، وهو يقول :

ـ ولكن هذا الطلاء سيؤذى العاملين هناك .

لوّح (أليكسى) بكفه ، هاتفًا :

ـ ومن يهتم ؟!

مضت لحظة من الصمت ، و (فكتور) معقود الحاجبين ، مستغرق فى تفكير عميق ، قبل أن تنفرج أساريره فجأة ، وترتسم على شفتيه ابتسامة واثقة جشعة ، وهو يردّد :

ـ بالطبع .. من يهتم ؟

تألّقت عينا (ألكسى) فى ظفر ، وغمره الارتياح مع عبارة (فكتور) الأخيرة ، واطمأن إلى أن روح الطمع قد أعمت هذا الأخير تمامًا ، وهم بشرح كيفية التبادل ، ولكن (فكتور) استطرد فجأة :

ـ ولكنها صفقة العمر كما تقول ، ولا أعتقد أنها تساوى ثلاثة ملايين فحسب .

عقد (ألكسى) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ هل تعلم كم تساوى هذه الملايين الثلاثة ، ولو تم تحويلها إلى روبلات ؟

قال (فكتور) :

- هل تعلم أنت كم يمكن أن تدفع (أفغانستان) مثلاً، مقابل رأس نووية واحدة ؟

قال(ألكسى) فى غضب :

- (فكتور) .. إنك تتعامل بجشع شديد .

هزَّ (فكتور) كتفيه، وتراجع فى مقعده، ولوَّح بكفه على نحو مسرحى، وهو يقول بابتسامة جشعة كبيرة :

- ولِمَ لا يا عزيزى (ألكسى) ؟.. إنها صفقة العمر كما تقول، وسيكون من الحماقة أن يرتكب المرء كل هذه المخاطرة، دون أن يحصل منها على أفضل استفادة ممكنة .. ثم دعنى أستعِرْ عبارتك أنت يا عزيزى (ألكسى) ..

ومال نحوه، مستطردًا فى طمع واضح :

- ومن يهتم ؟!

شعر (ألكسى) بسخط شديد وهو يستمع إليه، فقد حصل على الملايين العشرة من (سونيا)، وهو ينوى الفوز منها بالغنيمة الكبرى، وندم أشد الندم على أنه لم يعرض مليونًا واحدًا فى البداية، ولكنه عقد حاجبيه، وأشاح بوجهه، قائلًا :

- حسن يا (فكتور) .. كم تطلب ؟

تنهَّد (فكتور) فى ارتياح، واضطجع فى مقعده، وهو يقول :

- خمسة ملايين .

شهق (ألكسى)، وهتف فى حدة :

- ماذا تقول يا (فكتور) ؟

أجابه (فكتور) فى صرامة :

- أقول : خمسة ملايين يا عزيزى (الصقر) .. خمسة ملايين من تلك الدولارات الخضراء الجميلة .. مليون دولار فقط لكل رأس نووى .. يا لها من أسعار رخيصة .. أهنئك يا عزيزى (ألكسى) .. إنها صفقة العصر بحق .

قال (ألكسى)، وهو ينتفض غضبًا :

- ألا ترى أنك تبالغ قليلًا يا (فكتور) ؟

قهقه (فكتور) ضاحكًا، وقال :

- أبالغ ؟!.. يا له من قول يا رجل !.. أتطالبنى بالمخاطرة بحياتى ومستقبلى، وتسليمك خمسة رءوس نووية، تكفى لشن حرب على الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، ثم تتهمنى بالمبالغة، عندما أطلب خمسة ملايين فحسب، ثمنًا لهذه الخدمة ؟!.. أنسيت أنك شرحت خطتك كلها لى الآن، ومنحتنى فرصة تنفيذها مع أى عميل آخر، يدفع مبلغًا أكبر ؟.. قل لى : كم تدفع (سوريا)، مقابل رأس نووى واحد ؟.. وماذا عن (مصر)، و (ليبيا)، و (السعودية) ؟.. بل وماذا عن (الصرب) مثلًا ؟

تقافز الغضب من وجه (ألكسى)، وهو يقول :

- يا لك من جشع ؟

ولكن (فكتور) تراجع فى مقعده، قائلًا فى حزم :

- خمسة ملايين يا (ألكسى) .. أو تنسى الصفقة كلها .

عقد (ألكسى) حاجبيه أكثر، وارتجف جلد رأسه الأصلع، وهو يقول :

- فليكن يا (فكتور) .. ستحصل على الملايين الخمسة .

تنهَّد (فكتور) فى ارتياح بالغ، وتراخت أعصابه كلها، وهو يقول :

- عظيم .

ثم مال نحو (ألكسى)، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- الآن يمكننا أن نتحدث عن التفاصيل .

وعندئذ ..

عندئذ فقط، بدأت الصفقة الحقيقية ..

صفقة العصر ..

★ ★ ★

كان تصرف (روبرتو) مباغتًا بالنسبة لـ (منى)، التى فوجئت به يدفعها إلى الشارع الخلفى الضيق، ثم يتراجع فى سرعة، وينتزع مسدسه، صارخًا :

- النجدة .. السجينة تحاول الفرار ..

وصوَّب مسدسه إليها ..

وأطلق النار ..

وفى الظروف العادية، ومع عامل المفاجأة، ووجود الأغلال فى معصمى الضحية، كان من الطبيعى أن يصيب (روبرتو) هدفه فى إحكام، ويردى ضحيته قتيلة ..

ولكن الضحية نفسها لم تكن عادية ..

صحيح أنها فتاة جميلة الملامح، رقيقة المظهر، ضئيلة الجسد ..

ولكنها واحدة من أفراد المخابرات العامة المصرية ..

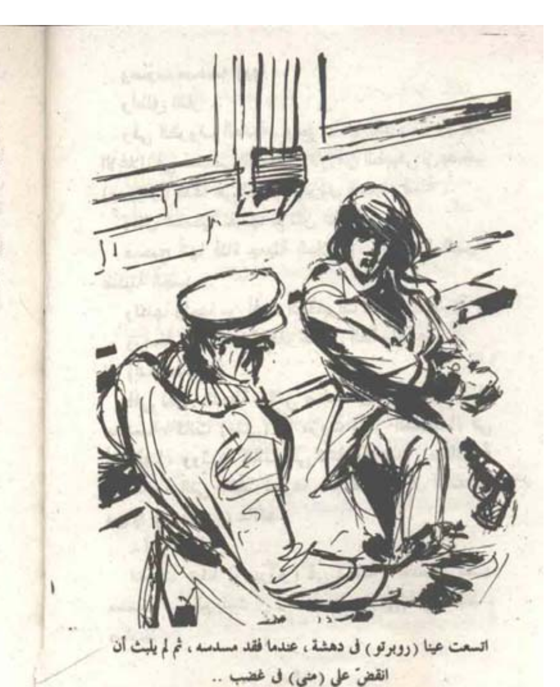
وزميلة أقوى رجل مخابرات فى العالم أجمع ..

(أدهم صبرى) ..

ففى نفس اللحظة، التى ضغط فيها (روبرتو) زناد مسدسه، كانت (منى) قد هزمت ذعر المفاجأة فى أعماقها، ووثبت جانبًا فى نشاط مدهش، متفادية الرصاصة التى أطلقت نحوها، ثم قفزت تركل المسدس من يد (روبرتو)، هاتفة :

- أيها الوغد .

اتسعت عينا (روبرتو) فى دهشة، عندما فقد مسدسه، ثم لم يلبث أن انقضَّ على (منى) فى غضب، صارخًا :



اتسعت عينا (روبرتو) فى دهشة ، عندما فقد مسدسه ، ثم لم يلبث أن انقضّ على (منى) فى غضب ..

ـ لقد أخطأت أيتها الحقيرة ، بمهاجمة (روبرتو) .

مالت (منى) جانبًا فى مهارة ، وتركته ينقضّ على الفراغ ، ثم ضمّت قبضتيها ، وهوت بهما على معدته ، قائلة :

ـ أوافقك على أننى أخطأت .

انثنى (روبرتو) من قوة اللكمة ، فانتزعت (منى) قبضتيها من معدته ، وغرستهما فى فكه بلكمة كالقنبلة ، ألقته أرضًا فى ذهول ، وهى تتابع :

ـ عندما لم أقطع عنقك مباشرة .

سقط ورأسه يدور فى عنف ، وحدّق ذاهلًا فى تلك الرقيقة ، التى حطّمت أنفه وكسرت كبرياءه بقبضة فولاذية ، فى حين تحرّكت هى فى سرعة ، والتقطت المسدس الذى سقط منه ، و ...

وفى اللحظة نفسها ، ظهر زملاء (روبرتو) ، الذين اندفعوا لنجدته ..

وتراجعت (منى) فى سرعة ، وهى تصوّب مسدسها إليهم ، وهم يهتفون :

ـ ها هى ذى .. لقد تغلّبت على (روبرتو) ..

ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

وأطلقت (منى) النار ..

كانت تعلم أنها بهذا تفقد آخر أمل فى النجاة بشكل رسمى ، وتضع نفسها فى خانة الخارجين على القانون ..

ولكن ...

لو أنها استسلمت الآن ، وتركتهم يلقون القبض عليها فى بساطة ، سيصرخ (روبرتو) مدعيًا أنها حاولت الفرار ، وأنها استولت على مسدسه ، وأنها زعيمة عصابة كبرى ، أو جاسوسة رهيبة ، تفوق (ماتا هارى) نفسها(*) ..

وستتضاءل أمام هذا احتمالات النجاة أيضًا ، حتى تبلغ الصفر ..

أو حتى ما دون الصفر ..

ولقد اختارت أهون الأمرّين ..

ومع رصاصاتها الصائبة ، تراجع رجال الشرطة فى عصبية ، وهم يصرخون :

(*) (ماتا هارى) : راقصة هولندية ، ولدت فى جزيرة (جاوة) ، من أب هولندى وأم أندونيسية ، واسمها يعنى باللغة الأندونيسية (نجمة الصباح) ، ولقد عملت (ماتا هارى) لحساب المخابرات الألمانية فى (فرنسا) ، وكانت لها علاقات قوية بالمسئولين الفرنسيين ، وأمكنها نقل أسرار مخيفة إلى الألمان ، خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم ألقى القبض عليها عام ١٩١٦م ، فانتقلت للعمل لحساب الفرنسيين ، ثم ألقى القبض عليها مرة ثانية ، وأعدمت .

ـ إنها ليست فتاة عادية .. إنها محترفة حتمًا .

تراجعت هى فى خطوات سريعة ، وهى تطلق النار ، لتمنعهم من مطاردتها ، وحمدت الله (سبحانه وتعالى) ، على أنهم وضعوا الأغلال فى معصميها أمام جسدها ، وليس خلف ظهرها ، وعلى أن الباب الخلفى لإدارة الأمن ، والذى يقود إلى الشارع المقفر ، كان ضيّقًا صغيرًا ، لا يسمح بتدافع رجال الشرطة ، مع رصاصاتها ، و ...

وفجأة ، أصدر المسدس تكة معدنية ..

تكة تعنى أن رصاصات المسدس قد نفدت عن آخرها ..

وأنها فقدت سلاحها الوحيد ..

والمقلق أنها لم تسمع وحدها هذه التكة المفزعة ..

لقد سمعها رجال الشرطة أيضًا ، وأدركوا أن غريمتهم نفدت ذخيرتها ، فاستأسدوا فجأة ، واندفعوا يطاردونها فى إصرار وحماس ..

وانطلقت (منى) تعدو بكل سرعتها وقوتها ، ورصاصاتهم تلاحقها فى عنف وشراسة ، حتى بلغت نهاية الطريق ، دون أن تصيبها رصاصة واحدة ، ولكنها أدركت أنها لن تنجح فى الفرار من هذا الجيش الذى يطاردها إلى الأبد ، مع تلك الأغلال التى تحيط بمعصميها ، والتى ستلفت حتمًا نظر كل شخص فى الطرقات ، وخاصة رجال الشرطة الدورية ..

وارتفعت الهتافات من خلفها :

ـ اقبضوا عليها .. أوقفوا الهاربة .

وفجأة ، اندفعت نحوها سيارة ، واعترضت طريقها بانحرافة سريعة ، فهمت بالقفز عبر مقدمتها ، لولا أن سمعت من داخلها صوتًا مألوفًا يهتف :

ـ اصعدى إلى السيارة فى سرعة .

وانفتح الباب المجاور لها ، فقفزت داخل السيارة دون تفكير ، ولم تكد تستقر على المقعد المجاور للسائق ، حتى انطلقت السيارة بسرعة ، فالتفتت إلى سائقها ، وهتفت فى دهشة :

ـ أنت ؟!

ابتسم الملحق العسكرى المصرى ، وهو يقول :

ـ كيف حالك أيتها الرائد (منى) ؟

قالت فى انفعال :

ـ لا تقل لى : إنك كنت تمر من هنا بالمصادفة البحتة !

ضحك قائلًا :

ـ كلا بالطبع .. إنه ليس واحدًا من أفلام الدرجة الثالثة ..

ثم أجاب وهو يزيد من سرعته ، وينحرف فى شارع آخر :

ـ لقد وصل رد (القاهرة) على برقيتنا ، وكان من الضرورى أن أبلغك إياه على الفور ، فذهبت إلى شقتك ، وسألت عن (ناديا فورستر) ، فعلمت من صاحبة المنزل أنهم ألقوا القبض عليك بتهمة التجسس ، وعثروا فى منزلك على أسلحة ومعدات ، أعتقد أن زملاءنا فى المخابرات وضعوها تحت تصرّفك .. المهم أننى أتيت على الفور إلى إدارة الأمن ، للسؤال عن موقفك ، ولم أكد أصل إليها ، حتى سمعت دوى الرصاصات فى الشارع الخلفى ، وسمعتهم يرددون أن السجينة هربت ، ولم يكن من العسير استنتاج الموقف كله ، فهرعت إليك ، وهأنذا .

تنهّدت فى حرارة ، هاتفة :

ـ كم يسعدنى هذا .

ثم سألته فى لهفة ، وهى ترفع قبضتيها أمامه :

ـ أخبرنى .. هل من وسيلة للتخلّص من هذا ؟

أخرج من جيبه سلسلة تحوى عشرات المفاتيح الخاصة بالأغلال المعدنية ، قائلًا : بابتسامة هادئة :

ـ جربى هذا .. لقد أحضرته خصيصًا ، قبل أن آتى لزيارتك فى إدارة الأمن .

ثم تحوّلت ابتسامته إلى ضحكة قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ كنت أعلم أننا سنحتاج إليه بشكل أو بآخر .

التقطت سلسلة المفاتيح فى لهفة ، وجرّبت بعضها على الأغلال ، حتى استجابت لأحدها ، فانتزعتها (منى) من يدها ، وألقتها من النافذة ، هاتفة :

ـ أخيرًا .

ثم ابتسمت مستطردة :

ـ خذها نصيحة منى .. إذا أردت يومًا وضع الأغلال فى معصمى أى شخص ، اجعل يديه خلف ظهره ، وإلا فلن تحصل على فائدة مجزية .

ضحك قائلًا :

ـ ليس كل الأشخاص مثلك .

اعتدلت ، وسألته فى اهتمام شديد :

ـ ماذا جاء فى رد (القاهرة) ؟

أجاب على الفور :

ـ لقد رفضوا فكرة استمرارك فى العمل هنا ، وقالوا : إنهم سيرسلون فريقًا آخر لكشف اتصالات الكمبيوتر ، ويطالبونك بالسفر فورًا إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، لبدء مرحلة العمل هناك .

غمغمت :

ـ كنت أتمنى لو أكملت المهمة بنفسى .

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ وما الفارق ؟.. لقد قمت بواجبك على أكمل وجه .

ابتسمت فى ضيق ، وهى تقول :

ـ إنها محاولة لإثبات قدرتى على الفوز فى معاركى وحدى .

ثم زفرت فى توتر ، وتابعت :

ـ حسن .. ومتى يمكننى السفر إلى (أمريكا) ؟

أجاب فى هدوء :

ـ إننا فى طريقنا إلى المطار الآن .

قالت فى دهشة :

ـ ولكن طبقًا لمعلوماتى ، لا توجد طائرات إلى (أمريكا) الآن .

أجابها فى سرعة :

ـ لقد درست هذا فى السفارة ، ووجدت أنك ستستقلين طائرة إلى (باريس) بعد ساعة من الآن ، ومن هناك يمكنك السفر إلى (نيويورك) ، فى طائرة العاشرة صباحًا ، القادمة من (تركيا) والتى تتوقّف ساعة فى (باريس) ، قبل أن تواصل رحلتها إلى هناك .

قالت فى قلق :

ـ ولكن جواز سفرى هناك ، فى دائرة الأمن .

التقط حقيبة من المقعد الخلفى ، وناولها إياها ، قائلًا :

- ستجدين جواز سفر آخر فى هذه الحقيبة ، أرسلته الإدارة بعد وصولك بساعات للطوارئ ، وهو جواز سفر ديبلوماسى مصرى ، سيفتح لك غلافه الأحمر كل الأبواب ، وستجدين فى الحقيبة أيضًا شعرًا مستعارًا أسود اللون ، لتخفى به شعرك الأشقر المصبوغ ، وستجدين صورتك فى جواز السفر مشابهة تمامًا لهيئتك ، بهذا الشعر الأسود المستعار .

ابتسمت قائلة :

- إننى أزداد إعجابًا برجال الإدارة فى كل مرة .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع صوت بوق سيارة شرطة خلفهما ، فانعقد حاجباها فى توتر ، وهى تقول :

- كنت أعلم أن الأمور لن تسير على ما يرام حتى النهاية .

قال بسرعة :

- ضعى الشعر المستعار على رأسك فى سرعة ، واحملى جواز السفر الديبلوماسى ، ولن يجرؤ أحدهم على مس شعرة واحـــدة من رأسك ، قبل استشارة وزارة الخارجية نفسها .

أسرعت تنفذ ما اقترحه ، فى حين زادت سيارة الشرطة من سرعتها ، وانطلقت موازية لسيارتهما ، والشرطى داخلها يشير إليهما فى صرامة ، للوقوف إلى جانب الطريق ، فأطاعه الملحق العسكرى فى هدوء ، وأوقف سيارته تمامًا ، وتوقفت سيارة الشرطة أمامه ، ثم قفز منها شرطيان ، صوّب أحدهما بندقية نصف آلية إليهما فى صرامة وتحفز ، فى حين انتزع الثانى مسدسه ، واقترب منهما ، وصوّبه إلى رأس الملحق العسكرى ، الذى قال فى صرامة ، وهو يبرز جواز سفره الأحمر :

- لقد أخطأت بتوقيفنا أيها الشرطى ، فنحن فى طريقنا إلى المطار ، ومعنا حقائب ديبلوماسية يُحظر تفتيشها ، وجواز السفر هذا يمنعك من ..

قاطعه الشرطى بنبرة ساخرة :

- ومن يبالى بالرسميات ؟

قالها وهو يجذب إبرة مسدسه ، فأدركت (منى) على الفور أنها والملحق العسكرى قد وقعا فى فخ .. فخ قاتل .

★ ★ ★

٥ - مطاردة فى (نيويورك) ..

من المعروف عالميًا أن مدينة (نيويورك) الأمريكية ، واحدة من أشد مدن الدنيا ازدحامًا بالسكان ووسائل المواصلات ، حتى أنهم يقولون : إن الشارع الذى يبعد ساعة كاملة بالسيارة عن الشارع التاسع والأربعين ، هو الشارع الخمسون ، التالى له مباشرة ..

وعلى الرغم من هذا ، انطلق (حسام) بسيارة الشرطة فى شوارع (نيويورك) ، وخلفه سيارة شرطة أخرى تطارده ..

ولكن المطاردة لم تستغرق وقتًا طويلًا ..

لقد انحرف (حسام) فى الشارع التالى مباشرة ، فوجد أمامه جيشًا من السيارات المتوقفة ، فى انتظار إشارة المرور الخضراء ..

وانعقد حاجبا (حسام) فى شدة ، وهو يقول :

- أعتقد أنها أقصر مطاردة فى التاريخ .

وضغط فرامل السيارة مرغمًا ، وسمع صرير إطارات سيارة الشرطة الأخرى ، وهى تتوقف خلفه ، وقائدها يهتف :

- لا تخط خطوة زائدة ..

ولم يخط (حسام) خطوة واحدة بالفعل ..

لقد قفز من السيارة كلها ، ووثب يعتلى مقدمة سيارة مجاورة ، ثم اندفع يقفز فوق أسقف السيارات ، على نحو أثار سخط وغضب أصحابها ، ودهشة رجل الشرطة ، الذى هتف :

- اللعنة !

ثم وثب بدوره فوق سقف سيارته ، وانتزع مسدسه هاتفًا :

- توقف يا هذا .

وصوّب مسدسه إلى (حسام) فى غضب ، ولكن زميله صاح به :

- هل جننت يا رجل ؟.. لو أصبت أحد المارة بخدش واحد ، سيصبح هذا آخر أيامك فى خدمة الشرطة .

مط الرجل شفتيه فى حنق ، ثم هبط إلى السيارة ، وانتزع بوق جهاز اللاسلكى فى سخط ، وقال :

- من السيارة ستمائة وواحد إلى كل السيارات ، فى منطقة الشارع الثامن والثلاثين ، والتاسع والثلاثين ، والأربعين ، والحادى والأربعين ، والثانى والأربعين .. هناك شرطى زائف يعدو فى المنطقة ، مرتديًا زى أحد الزملاء ، وهو طويل القامة ، أسود الشعر والعينين ، أبيض البشرة ....



وثب عن سقف السيارة الأخيرة إلى الشارع ، ثم اختفى فى عدد من الشوارع الجانبية الصغيرة ..

وراح يملى أوصاف (حسام) بمنتهى الدقة ، على كل رجل شرطة فى المنطقة كلها ..

أما (حسام) نفسه ، فقد تجاوز جيش السيارات ، ووثب عن سقف السيارة الأخيرة إلى الشارع ، ثم اختفى فى عدد من الشوارع الجانبية الصغيرة ..

وبدلًا من أن يواصل فراره ، وابتعاده عن المنطقة كلها ، توقَّف فى زقاق صغير ، وأخرج من جيبه أنبوبة معجون الأسنان ، والفرشاة الصغيرة ، فانتزع غطاء الأنبوبة ، وأداره فى قوة ، ثم التقط من داخله عدستين لاصقتين لهما لون أزرق هادئ ، وألصقهما على عينيه فى سرعة ومهارة ، ثم جذب طرف الأنبوبة ، فتحوَّلت إلى وعاء من البلاستيك ، يحوى سائلًا أبيض اللون ، راح (حسام) يقلِّبه بالفرشاة الصغيرة طويلًا ، ثم دهن به شعره كله ، وانتظر لحظات ، حتى جف السائل ، ثم دعك شعره بأطراف أصابعه ، وأخرج مرآة صغيرة ، وابتسم وهو يتطلَّع إليها ، مغمغمًا :

ـ عظيم .. نفس ما يحدث فى أفلام المغامرات .

كان شعره قد اصطبغ كله بلون أشقر ذهبى ، اشترك مع عينيه الزرقاوين فى تغيير ملامحه تمامًا ، فجذب قبعة الشرطة على رأسه ، وغمغم بابتسامة ساخرة ، وهو يتحرَّك فى هدوء إلى الشارع الرئيسى :

ـ والآن .. ما الهدف التالى ، لو أنك تفكِّر بذكاء ؟

واتَّسعت ابتسامته ، وهو يقطع الشوارع فى هدوء ، متجاهلًا سيارات الشرطة ، التى تتحرَّك فى كل مكان ، بحثًا عن رجل أسود الشعر والعينين ، حتى عاد إلى مبنى شركة الهاتف الخاصة ، وقال لموظف الاستقبال فى بساطة :

ـ أنا الرقيب (جون ويلكوكس) .

وأبرز الشارة التى حصل عليها مع ملابس الشرطى ، قبل أن يستطرد :

ـ يؤسفنى ما حدث لديكم هنا ، ولكنهم أرسلونى للتحدث مع أحد رجال الأمن لديكم ، باعتبار أنه المسئول عن مصرع ذلك الموظف .. ما اسمه ؟

قال موظف الاستقبال :

ـ مستر (بيكويك) .

لوَّح (حسام) بسبَّابته ، وقال :

ـ آه .. نعم .. (بيكويك) .. المهم أننى أريد مقابلة رجل أمن لديكم ، يُدعى .. يُدعى ..

تظاهر بمحاولة التذكُّر ، ثم أخرج ورقة من جيبه ، وقال وكأنه يقرأ الاسم منها :

ـ (أيدى) .. اسمه (أيدى) .

سأله الرجل :

ـ (جورج أيدى) ؟!

هتف (حسام) :

ـ إنه هو بالتأكيد .

هزَّ الموظف كتفيه ، وطلب استدعاء (أيدى) ، وتظاهر (حسام) باللامبالاة ، وهو يبتسم لموظفات الشركة الحسناوات ، اللاتى يرحن ويجئن طوال الوقت ، حتى وصل (أيدى) ، وقال فى توتر ملحوظ :

ـ ماذا تريد منى أيها الشرطى ؟

لم يكد (حسام) يلتفت إليه ، حتى عرف فيه على الفور ذلك الرجل ، الذى أطلق النار عمدًا على (بيكويك) ، والذى هتف هذا الأخير باسمه قبيل مصرعه(*) ، ولكنه تظاهر بأنه يراه لأول مرة ، وهو يسأله :

ـ أأنت (جورج أيدى) ؟

تمتم الرجل فى خشونة :

ـ هو أنا .

أمسكه (حسام) من ذراعه فى رفق ، وهو يقول :

ـ هل يمكننا أن نتحدَّث على انفراد ، فى مكان هادئ ؟

تطلَّع إليه (أيدى) بشك وتوتر ، ثم غمغم :

ـ فليكن

(*) راجع قصة (الصقر الأعمى) .. المغامرة رقم (٩٧) .

واصطحبه إلى حجرة جانبية خالية ، وأغلق الباب خلفهما ، ثم استدار إليه ، يسأله :

ـ والآن ماذا تريد منى ؟

اعتدل (حسام) ، واكتسب صوته مزيجًا من القسوة والصرامة ، وهو يسأله :

ـ لماذا قتلت (بيكويك) ؟

انتفض جسد (أيدى) كله فى توتر عنيف ، وهو يجيب :

ـ لم أتعمَّد ذلك .

قال (حسام) :

ـ بل تعمَّدت يا (أيدى) .. وأريد أن أعرف السبب .

هتف (أيدى) :

ـ لا يمكنك أن تثبت شيئًا من هذه السخافة .. ربما تكون رصاصة بندقيتى هى التى قتلت مستر (بيكويك) ، ولكن هذا لايعنى أننى تعمَّدت هذا ..

.. لقد كان هناك قاتل فى حجرة مستر (بيكويك) ، يُطلق النار علينا ، ومن الطبيعى أن نجاوبه بطلقات مثلها .

قال (حسام) فى سخرية :

ـ هكذا ؟!.. ولماذا صرخ يخبرك أنت بالذات أنه لم يدل بشىء مما لديه ؟

انعقد حاجبا (أيدى) ، وهو يقول فى توتر :

ـ كلا .. مستر (بيكويك) لم يفعل هذا ، وأتحداك أن تثبت أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت هناك قبضة كالقنبلة تغوص فى معدته ، وأخرى ساحقة تحطم فكه ، وتلقيه أرضًا فى عنف ، مع صوت (حسام) الصارم القاسى ، وهو يقول :

ـ من هو (تونى بورسالينو) ؟

حاول (أيدى) النهوض ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من حقك .. إننى .

أخرسته لكمة أخرى على أنفه مباشرة ، وتفجَّرت الدماء منه غزيرة ، و (حسام) يكرِّر سؤاله :

ـ من (تونى بورسالينو) ؟

سعل (أيدى) بشدة ، وتناثرت الدماء من أنفه وفمه مع سعاله ، وقفزت يده إلى مسدسه ، وهو يهتف :

ـ أنت لست شرطيًا .. إنك زائف .

جذبه (حسام) من شعره فى قسوة ، وضرب معصمه ليطيح بالمسدس ، ثم رفعه بحركة مرنة سريعة ، وضرب به الحائط فى عنف ، وتركه يسقط على رأسه أرضًا ، ثم انحنىَ يعيد سؤاله فى صرامة :

ـ والآن .. هل ستخبرنى من هو (تونى بورسالينو) هذا أم لا ؟

لهث (أيدى) فى شدة ، وبدا انهياره واضحًا فى صوته ، وهو يجيب :

ـ إنه .. إنه رجل أعمال شهير وثرى .

سأله (حسام) :

ـ إلى أى حد .

سعل (أيدى) مرة أخرى ، وأغرقت الدماء وجهه كله ، على نحو بشع ، وهو يجيب فى انهيار :

ـ إلى حد كبير .. إنه يمتلك واحدة من أكبر شركات الإليكترونيات ، فى (أمريكا) كلها .

سأله (حسام) :

ـ ما اسمها ؟

فتح (أيدى) فمه ليجيب ، عندما اقتحم ثلاثة من رجال الأمن الحجرة فجأة ، وخلفهم موظف الاستقبال يهتف :

ـ إنه شرطى زائف .. إدارة الأمن نفسها أكدت هذا .

واستدار (حسام) فى سرعة ، ليواجه رجال الأمن الثلاثة ، ولكنه تلقَّى مع استدارته ضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ، أعقبتها أخرى على رأسه مباشرة ، و ...

وأظلمت الدنيا أمام عينيه فجأة ..

أظلمت تمامًا ..

★ ★ ★

رأى الملحق العسكرى المصرى مسدس الشرطى الزائف مصوَّبًا إليه مباشرة ، وزميل هذا الشرطى يصوِّب إليه وإلى (منى) بندقية نصف آلية ، وهو يحتمى بباب سيارة الشرطة ، التى لم يدر ما إذا كانت زائفة أيضًا أم لا ، وشعر فى أعماقه بشىء من الاحباط ، قبل أن تقول (منى) بالعربية فجأة :

ـ انطلق بالسيارة .

وكرجل مخابرات محترف ، استوعب الملحق العسكرى الأمر فى سرعة ، وفهم ما ترمى إليه (منى) ، فانحنى بسرعة ، ودفع باب السيارة المجاورة له فى وجه الشرطىّ ، الذى يحمل المسدس ، وشعر بـ (منى) تخفض رأسها بدورها ، وهى تهتف :

ـ الآن .

وضغط هو دوّاسة الوقود بكل قوته ..

وانطلقت السيارة ..

ومع انطلاقتها ، أطلق الشرطى البعيد رصاصات بندقيته ، وتهشّم زجاج السيارة الأمامى ، وتناثر فوق رأسيهما ، مع أزيز الرصاصات ، التى عبرت فوقهما ، وتجاوزتهما لتخترق الزجاج الخلفى والجانبى ، وأطلق الشرطى الآخر سبابًا ساخطًا بذيئًا ، وهو ينهض من سقطته ، ويطلق رصاصات مسدسه خلفهما ، مطيحًا بما تبقى من الزجاج الخلفى لسيارتهما ..

ولكنهما تجاوزا المكان فى سرعة ..

وعندما اعتدلا ، ورفعا رأسيهما ، كان الشرطيان الزائفان قد قفزا إلى سيارتهما ، وانطلقا خلفهما ، فى مطاردة وحشية عنيفة ..

وهتفت (منى) فى قلق :

ـ هل أصابك مكروه ؟

أجابها الملحق العسكرى ، وهو يزيد من سرعة سيارته :

ـ ولا بخدش واحد .. وهذا يُدهشنى فى الواقع .

غمغمت :

ـ المطاردة لم تنته بعد .

أجاب وهو ينحرف بالسيارة مع دوران الطريق ، والإطارات تطلق أنينًا طويلًا متصلًا ، مع السرعة الفائقة :

ـ المهم أن ننجح فى بلوغ المطار .. هناك لن يمكنهم عمل أى شىء ؛ لأن القانون الدولى صريح للغاية فى هذا الشأن .

كانت الشمس فى طريقها للشروق ، والطريق شبه خال ، مما منحهما فرصة الانطلاق بأقصى سرعة ، والملحق العسكرى يستطرد :

ـ بهذه السرعة ، التى ننطلق بها الآن ، يمكننا بلوغ المطار بعد عشر دقائق فحسب .

تنهّدت (منى) ، وألقت نظرة خلفها ، على سيارة الشرطة ، التى تنطلق خلفهما بسرعة كبيرة ، وغمغمت :

ـ إنها تبدو لى فترة طويلة للغاية .

أما فى سيارة الشرطة ، فقد قال أحد الرجلين لزميله فى حنق :

ـ ذلك الرجل ينطلق بسرعة كبيرة ، ويقود السيارة فى جرأة ومهارة مدهشتين .

أجابه زميله فى حدة :

ـ دعه يفعل .

ثم التقط بوق جهاز اللاسلكى ، وقال :

ـ (ماريو) .. هل تسمعنى يا (ماريو) ؟!.. هنا (كارلو) .

أتاه الجواب مباشرة :

ـ أسمعك بكل وضوح يا (كارلو) .. ماذا لديك ؟

أجابه فى اهتمام :

ـ الصيد أفلت من الشبكة الأولى ، ونحن نطارده فى طريق المطار .

مضت لحظة صمت قصيرة ، قبل أن يقول (ماريو) :

ـ فى أية نقطة من الطريق ؟

أجاب (كارلو) :

ـ فى منتصف المسافة ، بين (ألابالما) والمطار .

مرّت لحظة صمت أخرى ، قبل أن يقول (ماريو) :

ـ فليكن يا (كارلو) .. واصلا المطاردة ، واتركا الأمور تسير فى مجراها الطبيعى .. ولكن حذار أن تصدمكما حقائق الحياة ، أو تصطدما أنتما بها .

سأله (كارلو) ، فى اهتمام بدا عجيبًا :

ـ وأين يمكن أن تواجهنا حقائق الحياة هذه ؟

أجابه (ماريو) على الفور :

ـ عشرة كيلومترات قبل المطار .

قال (كارلو) :

ـ فليكن .. سنلتزم الحذر .

وأنهى الاتصال ، وهو يبتسم ابتسامة شرسة شامتة ، قائلًا :

ـ واصل المطاردة يا رجل .. لا تجعلهما يخفضان سرعتهما أبدًا .

ثم أطلق ضحكة وحشية قصيرة ، قبل أن يستطرد :

ـ هذا يجعل المشهد أكثر إمتاعًا .

أما فى سيارة الملحق العسكرى ، فقد قالت (منى) فى توتر :

ـ سيارتهما تبدو قوية .

أجابها الملحق فى حزم :

ـ وكذلك سيارتنا .. والمسافة بيننا ثابتة تقريبًا .

سألته فى قلق :

ـ كم تبقّى أمامنا ، قبل أن نصل إلى المطار ؟

أجابها فى حماس :

ـ ست دقائق فحسب ..

ثم أضاف فى اهتمام :

ـ فور وصولنا ، اقفزى من السيارة ، واتجهى مباشرة إلى ضابط الجوازات ، وابرزى جواز سفرك الأحمر ، وستسير الإجراءات بعدئذ بشكل جيد للغاية .

سألته :

ـ وماذا لو شكّوا فى صحة الجواز .

ابتسم قائلًا :

ـ فليفعلوا ما يحلو لهم .

ثم أضاف بسرعة :

ـ إنه جواز رسمى سليم .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ كيف لم أستنتج هذا ؟!

ثم سألته فى اهتمام :

ـ وماذا ستفعل أنت ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :
ـ سأعود إلى السفارة .
قالها ، وهو ينحرف بسرعة كبيرة فى منحنى ضيق ، و ...
وصرخت (منى) :
ـ احترس .
واتسعت عينا الملحق فى ذعر ، وهو يحدّق فى سيارة هائلة ، من طراز (فان) ، تسدّ الطريق أمامهما تمامًا ..
وكانت سرعتهما كبيرة للغاية ، والتوقّف المفاجئ شبه مستحيل ..
لذا فقد حدث الاصطدام ..
وكان رهيبًا ..
رهيبًا للغاية .

★ ★ ★

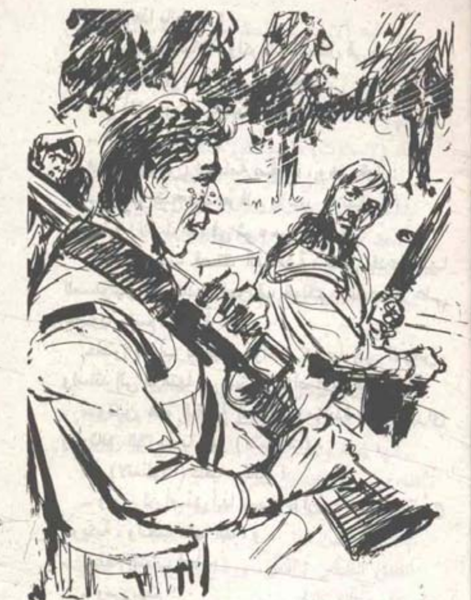


٦ ـ القنّاص ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا ، عندما انطلق طبق مستدير من آلة قذف خاصة ، فى نادى الرماية اللندنى الخاص ، وتبعته فوهة بندقية عادية لحظة ، قبل أن تعبرها رصاصة صائبة ، نسفت الطبق فى الهواء ، وحوّلته إلى فتات متناثر ، فتصاعد صوت تصفيق رصين ، مصحوب بهتاف يقول :
ـ رائع يا سير (لانسلوت) .. إنك الأفضل هنا دون منازع .
ابتسم (لانسلوت) فى زهو ظافر ، وهو يقول :
ـ الواقع أيها السادة أننى لا أبذل جهدًا يُذكر لتحقيق هذا ، فإصابة الأطباق لا يقارن بما كنت أفعله ، أيام كنت أشهر قنّاص فى (فوكلاند)(★) .. أيامها كان الأعداء يختبئون فى خنادقهم ، ولا تبدو منهم سوى قمم رءوسهم

(★) فوكلاند : مجموعة جزر جنوب المحيط الأطلنطى ، وشرق مضيق (ماجلان) بحوالى ٤٨٠ كم ، يدور نزاع عنيف على ملكيتها ، بين (بريطانيا) والأرجنتين ، أدى إلى حرب محدودة ، وهى تدار كمستعمرة بريطانية ، وعاصمتها (ستانلى) .

فحسب ، ولكننى كنت أصيب هذه القمم ، وأنسفها برصاصاتى ، من مسافة ثلاثمائة متر .
هتف بعضهم انبهارًا ، وصاح البعض الآخر استحسانًا ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها طبق آخر ، فتحرّك سير (لانسلوت) فى سرعة ، ونسفه فى الهواء برصاصة ثانية ، قبل أن يستطرد فى خيلاء :
ـ أما هذه فمجرّد أطباق ، و ...
قاطعه صوت ساخر ، يقول :
ـ ومنفردة .
استدار الجميع إلى مصدر الصوت فى استنكار وفضول ، ورأى (لانسلوت) أمامه شابًا فى منتصف الثلاثينات من عمره ، أحمر الشعر ، ضخم الأنف ، يغمر وجهه نمش غزير ، وتبدو سنتاه الأماميتان ضخمتين على نحو ملفت ، وعلى الرغم من هذا لم يكن يفتقر إلى الوسامة مع شىء من الأناقة التقليدية ، وهو يحمل بندقيته على كتفه فى لامبالاة ، متابعًا :
ـ ولكن هل جرّبت إطلاق النار على زوج من الأطباق ، ينطلق فى آن واحد ؟
مطّ (لانسلوت) شفتيه فى تعال ، والتفت إلى أحد الواقفين ، قائلًا :



ورأى (لانسلوت) أمامه شابًا فى منتصف الثلاثينات من عمره ، أحمر الشعر ، ضخم الأنف ..

- من هذا بالضبط ؟
همّ الرجل بالإجابة ، ولكن الشاب قال فى سرعة :
- (سبيلمان) .. (روجر سبيلمان) .
رفع (لانسلوت) حاجبيه ، هاتفًا :
- آه .. هو أنت إذن .
ابتسم (روجر) ابتسامة صفراء ، وهو يقول :
- من الواضح أنك تعرفنى يا سير (لانسلوت) .
أجابه (لانسلوت) فى شىء من الازدراء :
- لقد سمعت قصتك السخيفة ، التى خدعت بها المسئولين فى نادى الجولف الملكى ، لتحصل على عضوية باسم سير (آرثر) .
خفض الشاب بندقيته ، وأسند كعبها إلى الأرض ، واستند إلى فوهتها فى استهتار واضح ، وهو يقول :
- ولكن هذه القصة السخيفة مؤيّدة بكل الأوراق والوثائق اللازمة يا سير (لانسلوت) .
هزّ (لانسلوت) كتفيه ، قائلاً :
- ولو .. لن أصدّق أبدًا أن سير (آرثر سبيلمان) تزوّج أمريكية ، وأنجب منها ابنًا ، و ..
قاطعه الشاب فجأة :
- ومن يهتمّ ؟

حدّق فيه (لانسلوت) لحظة فى دهشة ، فتابع بنفس الاستهتار :
- تصديقك أو عدم تصديقك لا يعنى أحدًا .. الوثائق هى التى تهم .
عقد (لانسلوت) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :
- أصلك الأمريكى يطفو على السطح .
ابتسم الشاب ابتسامة ساخرة مستفزة ، قبل أن يقول :
- دعك من هذه المهاترات الكلامية ، وأخبرنى : هل ستقبل التحدّى ؟
سأله فى دهشة ممزوجة بالقلق :
- أى تحدّ ؟
لوّح بكفه ، قائلاً :
- أن تصيب طبقين ينطلقان فى آن واحد .
اعتدل (لانسلوت) ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :
- إنها لعبة وليست تحديًا .. إننى أقبل هذا بالطبع ، لألقنك درسًا فى التعامل معى .
وأشار إلى قاذف الأطباق ، مستطردًا :
- أطلق طبقين معًا .
انطلق الطبقان بالفعل ، ورفع (لانسلوت) بندقيته بسرعة ، وأطلق النار ..

وانفجر الطبقان فى الهواء ..
وبابتسامة مزهوّة ، واعتداد ملحوظ ، خفض (لانسلوت) فوهة بندقيته ، التى يتصاعد منها الدخان ، وقال :
- أعتقد أنك فهمت الآن ، لماذا يطلقون علىّ لقب (القنّاص) .
هزّ (روجر) رأسه فى بطء ، وقال :
- كلّا .. لم أفهم بعد .
ثم التفت إلى قاذف الأطباق ، قائلاً فى هدوء :
- أطلق ثلاثة أطباق .
رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، مرددًا :
- ثلاثة يا سير (سبيلمان) ؟!
قال (روجر) فى برود :
- هل سمعتنى ، أم أنك تحتاج إلى تسليك أذنيك برصاصة رابعة ؟
هتف الرجل فى اضطراب :
- بل سمعتك يا سير (سبيلمان) .. سمعتك جيدًا .
وأطلق الأطباق الثلاثة فى آن واحد ..
ودوت ثلاث رصاصات سريعة ...
وانفجرت الأطباق الثلاثة فى الهواء ..
وعلى شفتى (روجر سبيلمان) ، ارتسمت ابتسامة كبيرة واثقة مستفزة ، وهو يخفض بندقيته ، قائلاً :

- ما رأيك يا سير (لانسلوت) ؟.. من منا يستحق لقب (القنّاص) ؟!
هتف (لانسلوت) فى غضب :
- أنا بالطبع .
ثم صاح فى قاذف الأطباق :
- أطلق أربعة أطباق .
أكمل (روجر) فى سرعة :
- وفى اتجاهات مختلفة .
نظر إليه (لانسلوت) فى دهشة ، فابتسم فى سخرية ، قائلاً :
- هذا هو التحدى الحقيقى ، أليس كذلك ؟
انعقد حاجبا (لانسلوت) فى شدة ، وهمّ بقبول التحدى ، لولا أن وصل أحد خدم النادى فى هذه اللحظة ، وهو يقول :
- مكالمة من القصر يا سير(لانسلوت) .
مطّ (لانسلوت) شفتيه ، وهو يقول :
- انتظرونى أيها السادة ، سأعود بسرعة .
وابتعد عنهم فى خطوات سريعة ، و (روجر) يتابعه ببصره ، قائلاً فى سخرية :
- سنعد الأطباق الأربعة لحين عودتك .

لم يعره (لانسلوت) اهتمامًا ، وهو يسرع إلى قاعة الهاتف ، ويلتقط سمّاعته ، قائلًا :

ـ ماذا لديك يا (مور) ؟

كان خادمه (مور) بالفعل هو المتحدّث ، ولقد أجابه بسرعة :

ـ يبدو أن كل شىء على ما يرام يا سير (لانسلوت) .. (كروكى) يسبح فى نهره فى شموخ ، ولا يوجد أدنى أثر لذلك الرجل أو بقاياه .. كل ما عثرنا عليه هو سترته الممزّقة ، التى تسبح فوق الماء .

ابتسم (لانسلوت) فى ارتياح ، وهو يسأله :

ـ وماذا عن النافذة ؟.. هل قضبانها سليمة ؟

أجابه فى حسم :

ـ كلها سليمة تمامًا .

هتف (لانسلوت) فى سعادة :

ـ عظيم .

ثم انتبه إلى ارتفاع صوته ، الذى جذب إليه أنظار كبار أعضاء النادى فى استنكار ، فعاد يخفضه قائلًا :

ـ هذا يعنى أن (كروكى) قد التهم وجبة كاملة يا رجل .. سنحتفل بهذه المناسبة الليلة .

«أية مناسبة ؟..» .

انتفض (لانسلوت) فى عنف ، عند سماعه السؤال ، واستدار فى سرعة ليحدّق فى وجه صاحبه ، الذى ابتسم على نحو مستفز ، وهو يقول :

ـ هل أفزعتك ؟

شعر (لانسلوت) بالغضب ، ممتزجًا بالسخط والحنق والاستنكار ، لأن (روجر) قد تبعه إلى الداخل ، واستمع إلى جزء من حديثه ، فقال مشيرًا إلى بندقية (روجر) فى حدة :

ـ من الخطأ أن تحمل بندقيتك إلى داخل الاستراحة .

قال (روجر) فى استهتار :

ـ حقًا ؟!.. لكم قواعد عجيبة هنا .. إننا لا نعقّد الأمور هكذا فى (أمريكا) .

قال (لانسلوت) وهو ينهى محادثته مع (مور) :

ـ أنت الآن فى (لندن) ، ولست فى (أمريكا) .

هزّ (روجر) كتفيه ، وقال :

ـ فليكن .. أنا أعلم هذا بالتأكيد ، ولكننى أردت أن أسألك .. هل قبلت ذلك التحدّى أم لا ؟

قال (لانسلوت) فى صرامة :

ـ لقد طلبت منكم انتظارى هناك .

عاد (روجر) يهزّ كتفيه ، وهو يخرج منديله ، قائلًا :

ـ ولكن الجو هناك حار للغاية .

وفجأة ، تعلّقت أنظار (لانسلوت) بقرص مستدير ، سقط من جيب (روجر) ، وهو يخرج منديله ..

قرص يحمل رسمًا لأفعى مستديرة ، تلتقم ذيلها ، وفى وسطها حرف (S) كبير ..

وانتفضت كل خلية فى جسد (لانسلوت) ..

إنه يعرف هذا الشعار ..

يعرفه جيدًا ..

بل ويحمل شعارًا مثله فى جيب سترته ..

إنه شعار المنظمة ..

منظمة (سناك) الجديدة ..

★ ★ ★

«مستحيل !..» .

هتفت (سونيا جراهام) بالكلمة فى انفعال عارم ، وهى تحدّق فى وجه (تونى بورسالينو) ، الذى قال فى توتر :

ـ لقد حدث الأمر كما أخبرتك تمامًا يا سيّدتى .. رجل واحد اقتحم شركة الهاتف الخاصة ، منتحلًا شخصية رجل شرطة فيدرالى ، والتقى بالمدير ، ثم أجبره على كشف اسم المسئول عن الكمبيوتر ، وبعدها هاجم (بيكويك) ، وقاتل

طاقم الأمن كله ، ثم فرّ من المبنى بطريقة مدهشة ، وطارده رجال الشرطة فى شوارع (نيويورك) ، ولكنه استولى على أحد أزياء الشرطة ، وأبدل ملامحه كلها ، وعاد مرة أخرى إلى المبنى بجرأة مذهلة ، والتقى بـ (أدوين) ، وأجبره على ذكر اسمى ، وعلاقتى بالرقم الذى يبحث عنه .

اتجهت بكيانها كله إليه ، وهى تسأله فى عصبية :

ـ ثم ماذا ؟

التقط نفسًا عميقًا ليكتم انفعاله ، قبل أن يجيب :

ـ هاجمه رجال الأمن مرة ثانية ، ونجحوا فى إفقاده الوعى ، وألقوا القبض عليه .

ارتجف جسدها كله ، مع عبارته الأخيرة ، وردّدتها فى انفعال :

ـ ألقوا القبض عليه ؟!

وبدت ارتجافة أصابعها واضحة ، وهى تلتقط سيجارة طويلة رفيعة من علبتها ، وتدسها بين شفتيها ، وفشلت فى إشعالها بقدّاحتها لعدة مرات ، فأسرع (تونى) يشعلها لها ، وهو يسألها :

ـ من الواضح أن هذا الرجل يمثل لنا خطورة بالغة .. ماذا نفعل به ؟

تمتمت فى عصبية :
ـ إنه هو .. ما من شك فى أ٭٭ ٭ ر .
سألها فى حيرة :
ـ هو من ؟!
صاحت مفرغة كل توترها فى وجهه :
ـ ليس هذا من شأنك .
تراجع فى دهشة ، وابتلع إهانتها مع لعابه ، وهو يتطلع إليها فى صمت وترقب ، فى حين راحت هى تنفث دخان سيجارتها فى عصبية واضحة ، معقودة الحاجبين ، ودلائل التفكير العميق تطل من كل خلجة من خلجاتها ، حتى طال صمتها ، وتضاعف قلقه وتوتره ، فخرج عن صمته فى توتر ، وهو يسأل فى خفوت :
ـ ماذا نفعل يا سيدتى ؟
تجاهلته (سونيا) تمامًا ، وهى تنفث بخان سيجارتها فى عمق أكثر ، فتابع فى شىء من الحماس ، وقد تصور صمتها اهتمامًا :
ـ أنت تعلمين أن لنا عميلًا هناك .. فى إدارة الأمن .. الملازم (جونز) .. إنه يتقاضى منا راتبًا ضخمًا ، دون أن يقدم أية خدمات ، والآن يمكننا الاستعانة به .. سيتظاهر بأن ذلك الشاب قد قاومه ، ويطلق عليه النار على حين غرة ، و ...

التفتت إليه فجأة ، هاتفه :
ـ خطأ ..
بتر عبارته على الفور ، وتطلع إليها بتساؤل قلق ، فتابعت فى حدة :
ـ لو أن هذا الشخص هو الذى أتوقعه ، فمن الخطأ أن ترفع مسدسًا فى وجهه ، حتى ولو كان مقيدًا بالأغلال فى جدار من الصلب .
هتف (تونى) فى دهشة :
ـ إلى هذا الحد ؟!
غمغمت فى توتر :
ـ بل أ٭٭ر مما تتوقع بكثير .
رفع (تونى) حاجبيه مبهورًا مشدوهًا ، فنفثت هى دخان سيجارتها فى عصبية ، مستطردة :
ـ إنه الرجل نفسه ، الذى هزم جيش (أكشن مايكل) فى (كيواوا) .
هتف (تونى) فى انزعاج :
ـ هو نفسه ؟!
أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :
ـ نعم يا (تونى) .. هو نفسه .. ومع مثل هذا الرجل ، من الخطأ أن تلجأ إلى الأسلوب المباشر لقتله ، ومن الخطأ

أيضًا أن تضيع لحظة واحدة فى التردد والتفكير ، وإلا فلن تجد له أدنى أثر ، عندما تتوصل إلى قرار حاسم .. الأسلوب الأمثل إذن هو أن تتحرك فى سرعة وحزم ، وأن تنتقى وسيلة غير متوقعة ، ولا تحتاج إلى مواجهة مباشرة ، ولكنها ذات أثر حاسم وفعال .
سألها فى حيرة :
ـ مثل ماذا ؟
اتجهت إلى مكتبها ، وفتحت درجًا سريًا فيه ، التقطت منه كبسولة سوداء ، مدت أصابعها بها إلى (تونى) ، قائلة :
ـ خذ هذه الكبسولة ، ومر الملازم (جونز) بإفراغ محتواها فى قدح من القهوة ، وتقديمه لذلك الرجل على الفور .
التقط (تونى) الكبسولة فى حذر ، وهو يسألها :
ـ وما الذى تحويه بالضبط ؟
نفثت الدخان من بين شفتيها الجميلتين فى عمق ، قبل أن تقول :
ـ سيانيد البوتاسيوم ، أقوى وأسرع السموم المعروفة خمس ثوان للموت .
ثم انعقد حاجباها فى شدة ، قبل أن تستطرد :

اتجهت إلى مكتبها ، وفتحت درجًا سريًا فيه ، التقطت منه كبسولة سوداء ، مدت أصابعها بها إلى (تونى) ..

- إنها الوسيلة الوحيدة لإزاحة مثل ذلك الرجل من طريقك .

وبرقت عيناها فى وحشية ، مع تلك القشعريرة التى سرت فى جسدها كله ، وهى تضيف فى حزم :

- وإلى الأبد .

وانتقلت ارتجافتها إلى (تونى) ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك الشعار يسقط من جيب (روجر) ، حتى انحنى هذا الأخير فى سرعة ، والتقطه ، وأعاده إلى جيبه فى حركة سريعة ، ثم قال متجاهلًا ما حدث :

- هه .. ماذا قلت يا سير (لانسلوت) ؟

لم يجب (لانسلوت) مباشرة ، وهو يحدّق فيه ، ثم استعاد رصانته بسرعة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

- فى ماذا يا سير (سبيلمان) ؟

لوّح (روجر) بكفه ، قائلًا :

- فى التحدى .

اتسعت ابتسامة (لانسلوت) ، ووضع كفه على كتف (روجر) ، وهو يقول فى ود واضح :

- دعك منه الآن يا رجل .. فلنتحدّث بعض الوقت .. إننا نلتقى لأول مرة .

قال (روجر) فى حذر :

- نتحدّث ؟.. وفيم نتحدّث يا سير (لانسلوت) ؟

جذبه (لانسلوت) فى رفق ، وسار إلى جواره ، وهو يقول :

- سنجد الكثير من الأمور ، التى تستحق أن نتحدّث بشأنها .. مهارتك فى لعبة الجولف مثلًا .. أو ثروة والدك الراحل ، أو ...

وابتسم فى مكر ، قبل أن يضيف :

- أو أحوال منظمة (سناك) .

توقّف (روجر) فجأة ، والتفت إليه يسلخه بنظرة حادة ، ثم لم يلبث أن أشاح بوجهه ، مغمغمًا فى توتر :

- وما منظمة (سناك) هذه ؟

أطلق (لانسلوت) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول :

- آه .. إنها منظمة طريفة لطيفة ، تسعى لنشر السلام فى العالم ، عن طريق تحطيم دائرة سرية المعلومات والأسلحة ، وتستخدم شعارًا عبارة عن حية تلتف حول نفسها ، وتبتلع ذيلها ، وتحيط بحرف (S) ضخم .

بقى وجه (روجر) جامدًا لحظات ، ثم غمغم :

- لم أسمع بها قط .

بدا الضيق على وجه (لانسلوت) ، وهو يقول :

- ومـاذا عن (نيويـورك) ، و(أكشن مايـــكل) ، و (بورسالينو) ؟

خُيل إليه أن (روجر) يستمع بكل انتباه واهتمام ، على الرغم من ملامحه الجامدة ، فجذبه من ذراعه بشىء من العنف ، ليدير وجهه نحوه ، وهو يستطرد فى عصبية :

- اسمع يا (روجـر) .. هل تحب أن نتحـدّث فى صراحة ؟

اعتدل (روجر) ، وخفض بندقيته ، وهو يقول فى برود :

- بكل تأكيد .

اعتدل (لانسلوت) بدوره ، وقال :

- حسن .. دعنا نكشف كل الأوراق ..أنا أعلم أنك تنتمى لمنظمة (سناك) .. وربما كنت هنا لمراقبتى ، أو للتأكد من ولائى .. ولا تحاول الإنكار يا سير (سبيلمان) ، فقد رأيت شعار المنظمة الذى تحمله بنفسى ، ولا يمكننى أن أخطئ تعرّفه .. هل تعلم لماذا ؟.. لأننى أحمل شعارًا مثله .

ابتسم (روجر) فى سخرية وهو يقول :

- حقًا ؟!

أجابه فى حدة :

- نعم يا (روجر) .. إننى أكشف الأوراق أمامك بكل

ثقة ، لأننى أعلم أنك تعمل لحساب الجهة نفسها .. قل لى : هل اعتمدت (جوان) على إبهارك بجمالها الساحر ، أم أنها استغلت حبك للمغامرة مثلى ، و ...

قاطعه (روجر) فى هدوء :

- (جوان) من ؟!..

قال (لانسلوت) فى ضجر :

- لقد سئمت هذه المحاورات والمناورات يا (روجر) .. أنت تعلم أننى أتحدّث عن (جوان...) .

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى وجه (روجر) بدهشة بالغة ، فسأله هذا الأخير فى صرامة :

- من (جوان) هذه يا سير (لانسلوت) ؟

ولكن (لانسلوت) لم يجب قط ..

لقد كان يحيا لحظة من أسوأ لحظات حياته ..

لحظة ذهول ..

وارتياع ..

★ ★ ★

٧ـ خطة للقتل ..

شحب وجه الملازم (جونز) فى شدة ، وهو يحدّق فى كبسولة سيانيد البوتاسيوم ، ثم رفع عينيه إلى (تونى) ، وقال بصوت مرتجف :

ـ هل تعرف مايعنيه هذا بالضبط يا مستر (بورسالينو) ؟!

اضطجع (تونى) فى مقعده بهدوء ، وهو يقول :

ـ ماالذى يعنيه ؟

هتف (جونز) بصوت خافت :

ـ إنها جريمة قتل يا مستر (بورسالينو) .. جريمة قتل مباشرة وصريحة .

سأله (تونى) فى برود :

ـ وكم تساوى جريمة القتل هذه ؟

قال (جونز) فى عصبية :

ـ السجن مدى الحياة .

مال (تونى) نحوه ، وهو يقول :

ـ وكم يساوى هذا أيضًا ؟.. عشرين ألف دولار مثلًا ؟

توتر (جونز) بشدة ، وهو يقول :

ـ إنها ليست مسألة نقود يا مستر (بورسالينو) ، ولكن ...

قاطعه (تونى) :

ـ ثلاثين ألفًا ؟

زفر (جونز) ، وقال فى اضطراب :

ـ إنك لم تفهمنى .. المشكلة أن ..

قاطعه (تونى) مرة ثانية :

ـ فليكن .. هاك عرضى الأخير .. ثلاثون ألف دولار ، والفيلم الذى تم التقاطه لك ، مع تلك الحسناء .

شحب وجه (جونز) لحظة ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، ولم يلبث أن خفض عينيه فى مرارة ، وهو يغمغم :

ـ ولكن هذا يبدو أشبه بالانتحار يا مستر (بورسالينو) ، فلو قدّمت القهوة لذلك الرجل ، ثم لقى مصرعه بالسم ، ستتوجه أصابع الاتهام إلىّ بلا تردد .

ابتسم (تونى) ، وهو يقول :

ـ هذا لو تم الأمر بشكل روتينى .. ولكن الواقع أن الأمر سيتم بطريقة أنيقة ومدروسة إنك ستحمل ثلاثة أقداح فارغة ، وتتوجه بها إلى حجرة التحقيق ، وهناك تصب فيها القهوة أمام المحقّق ، وتتناول أحد الأقداح ، وتناول

المحقّق قدحًا آخر ، ثم تعطى القدح الثالث لذلك الرجل ، وتشرب قدحك بكل هدوء ، وتتركه يسقط إلى جوارك صريعًا .

هتف (جونز) فى حدة :

ـ ثم أسقط إلى جواره جثة هامدة .

ضحك (تونى) ، قبل أن يقول :

ـ اطمئن يا عزيزى (جونز) .. ذلك الرجل وحده سيموت ، لأنك ستفرغ كبسولة السم فى القدح الفارغ ، الذى ستصب فيه قهوته ؛ ولهذا سيبدو الأمر كما لو أنكم قد تناولتم القهوة من مصدر واحد ، وربما أمكنك أن توحى للآخرين بأنه قد انتحر .

قال (جونز) مبهوتًا :

ـ انتحر ؟!

أجابه (تونى) فى سرعة :

ـ بالطبع .. هذا أمر شائع بالنسبة للجواسيس .

ازدرد (جونز) لعابه ، وغمغم :

ـ فليكن يا مستر (بورسالينو) .. سأحاول .

برقت عينا (تونى) فى ظفر ، وهو يقول :

ـ عظيم .. ابدأ على الفور إذن يا عزيزى (جونز) ، ولتعلم أننى لن أغادر هذا المبنى ، قبل أن يلقى هو مصرعه بالفعل .

ازدرد (جونز) لعابه مرة أخرى ، وقال فى انكسار :

ـ سأبذل قصارى جهدى يا مستر (بورسالينو) .

قالها وغادر مكتبه ، واتجه إلى حجرة التحقيق ، وفى طريقه إليها التقط ثلاثة أقداح فارغة ، أفرغ فى أحدها محتوى الكبسولة خفية ، ثم دلف إلى الحجرة ، وقال للمحقّق :

ـ هل اعترف بشىء .

ابتسم (حسام) فى سخرية ، فى حين زفر المحقّق فى عصبية ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .. إنه يسخر من كل سؤال ألقيه عليه ، ويتناول بعض الأقراص بين حين وآخر .

تفجّر الجزء الأخير من العبارة فى أعماق (جونز) ، وهتف فى لهفة :

ـ بعض الأقراص ؟!.. ألا تعلم أن هذا محظور يا رجل ؟.. من أدراك أنها ليست إحدى المواد السامة ، وأنه لا يحاول الانتحار ؟!

كانت فرصة سانحة ليبذر الشك فى نفس المحقّق ، وينفى عن نفسه التهمة فى الوقت ذاته ، عندما يلقى (حسام) مصرعه ، ولكن هذا الأخير قهقه ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :

– اطمئن يا هذا .. ليس فى نيتى مطلقًا أن أنتحر ، فهذا يخالف عقيدتى تمامًا .. إنها أقراص مضادة للحموضة ، وموقف لإفرازات المعدة فحسب ، فأنا مصاب بقرحة معدية مزمنة ، بسبب تلك الحياة القاسية المثيرة للتوتر ، التى أنغمس فيها طوال الوقت .

قال (جونز) فى عصبية ، وهو يصب القهوة فى الاقداح الثلاثة فى حرص :

– هذا ما تقوله أنت .. ربما لم تكن الأقراص كذلك بالفعل ، و ...

قاطعه المحقق فى ضجر :

– الأقراص لم تكن معه يا (جونز) .. لقد طلبها فأحضرناها له بمعرفتنا ، وعن طريقى شخصيًا .. اطمئن .

كان هذا يزيده حنقًا وتوترًا ، ولكنه كان شديد الحرص ، فى وضع القدح المنشود أمام (حسام) ، ثم وضع القدح الآخر أمام المحقق ، وارتشف هو رشفة من القدح الثالث ، مغمغمًا :

– أنت لا تعرف ألاعيب هؤلاء الجواسيس .

زفر المحقق فى ضيق ، وأحنقه أن يتدخل (جونز) فى عمله على هذا النحو ، فتجاهله تمامًا ، وهو يقول لـ(حسام) :

إصرارك على الصمت لن يفيدك بشىء .. لقد حصلنا على بصماتك ، وأراهن أننا سنجد لك ملفًا عامرًا لدينا .

ابتسم (حسام) فى سخرية ، والتقط قدح القهوة ، وهو يقول :

– انتظر حتى تجده إذن .

وتعلقت عينا (جونز) به فى لهفة ، وهو يرتشف رشفة من قدح القهوة ، مستطردًا فى تهكم :

– وستجدنى فى انتظارك .

ثم ارتشف ما تبقى من قدحه دفعة واحدة ، بكل ما يحتويه من سمّ زعاف ..

ولم يعد هناك أمل فى النجاة ، مع سمّ يمكنه قتل فيل فى خمس ثوان لا غير ..

– لم يعد هناك أدنى أمل ..

★ ★ ★

مضت نصف دقيقة كاملة وسير (لانسلوت) يحدّق فى وجه (روجر) ، الذى عقد حاجبيه بدوره ، وهو يقول :

– ماذا هناك بالضبط يا سير (لانسلوت) ؟.. ألا تروق لك ملامحى ؟

سرت ارتجافة عجيبة فى جسد (لانسلوت) ، وكأنما أيقظه (روجر) بعبارته من نوم عميق ، ثم اعتدل فى سرعة ، وابتسم فى ارتباك عصبى ، وهو يقول :

– معذرة يا عزيزى (روجر) .. إننى لم أكن أتطلع إليك فى الواقع ، وإنما تذكرت فجأة أمرًا بالغ الأهمية ، كدت أنساه مع مفاجأة لقائك .

ثم تحرك فى سرعة ، مستطردًا :

– انتظرنى لحظة واحدة ، وأعود إليك .

هتف (روجر) :

– وماذا عن تحدى الأطباق الأربعة ؟

لوّح (لانسلوت) بكفه ، قائلًا :

– فيما بعد يا عزيزى .. فيما بعد .

واتسعت خطواته وهو يسرع نحو حجرة مدير النادى ، قائلًا لنفسه فى توتر شديد :

– مستحيل !.. هذا مستحيل بالتأكيد .

وارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، عندما رآه يدلف إلى حجرته فجأة ، فهبّ من مقعده ، قائلًا فى توتر :

– مرحبًا يا سير (لانسلوت) .. أى رياح طيبة ..

لم يمنحه (لانسلوت) الفرصة لإتمام حديثه ، وهو يقول فى انفعال :

– معذرة يا لورد (فليز) .. لدى مكالمة عاجلة وسرية للغاية ، ومن الخطر استخدام الهاتف العام فى الردهة .

كان انفعاله يؤيد أهمية المكالمة وخطورتها ، فغادر المدير مكانه فى سرعة ، وهو يقول :

يمكنك استخدام هاتفى الخاص بالتأكيد يا سير (لانسلوت) .. سأنتظرك فى الخارج حتى تنتهى .

تمتم سير (لانسلوت) ، وهو يضغط أزرار الهاتف :

– شكرًا يا لورد (فليز) .. أشكرك كثيرًا .

ولم يكد الرجل يغلق الباب خلفه ، حتى قال (لانسلوت) عبر الهاتف :

– (مور) .. أنا سير (لانسلوت) .. أريد منك أن تأتى إلى النادى على الفور .. ستجدنى جالسًا مع عضو جديد ، يحمل اسم (روجر سبيلمان) .. أحضر آلة التصوير السرية الخاصة ، والتقط صورة لنا معًا ، وأخبرنى بنتيجتها على الفور .

وأنهى المحادثة بسرعة ، واعتدل معقود الحاجبين ، وهو يتمتم :

– لو أن خبرتى بتمييز بصمات الأذن ما زالت كما هى ، منذ ترك العمل فى المكتب الخامس(★) ، فهذا يعنى أن ذلك الرجل ، الذى يحمل اسم (روجر سبيلمان) ، ليست كما يدّعى ، بل هو ، وعلى الرغم من غرابة الموقف ، نفس الرجل الذى كنا نتصور أن (كروكى) قد التهمه عن آخره .

(★) المكتب الخامس : اسم يطلق على ادارة المخابرات البريطانية .

وارتجف صوته ، وهو يضيف فى انفعال :

ـ إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

كانت مفاجأة رهيبة ، أن يجد (أدهم) نفسه فجأة ، أمام تمساح هائل الحجم ، حاد الأسنان ، رهيب المظهر ، مثل (كروكى) ، الذى انقضّ عليه فى وحشية ، ليطبق عليه فكَيه ، ويجعل منه وجبة عشاء دسمة ، داخل نفق مُغلق ، أسفل قصر سير (لانسلوت) ..

ولكن (أدهم صبرى) بالذات يمتلك موهبة خاصة ، جعلته دومًا فى موقع الصدارة ، أمام كل خصومه وأعدائه ، ألا وهى قدرته المدهشة على امتصاص الصدمات والمفاجآت ، واستيعابها فى أجزاء من الثانية ، ثم دراسة الموقف الجديد بسرعة مذهلة ، واتخاذ القرار الخاص بشأنه ، قبل أن تكتمل أجزاء الثانية ..

وهذا ما فعله مع (كروكى) ..

لقد هضم المفاجأة بسرعة خرافية ، وتحرَّك قبل أن ينطبق عليه فكَّا التمساح الرهيب ، فغاص فى الماء ، ودفع جسده أسفل بطن التمساح ، الذى تحرَّك لمطاردته ، ولكنه فوجئ به يثب من الماء بغتة ، ويعتلى ظهره ، وهو يهتف فى سخرية :

ـ مفاجأة يا صديقى .

وكانت مفاجأة حقيقية للتمساح ، الذى لم يعتد أدنى مقاومة من ضحاياه ، فثار وراح يضرب بذيله فى كل مكان ، ويرتطم بجدران النفق ، ولكن (أدهم) خلع سترته فى سرعة ، وأحاط بها فكَّى التمساح ، وهو يقول :

ـ لا داعى للثورة يا صديقى .. أنا أعرف صفاتك التشريحية كلها ، وأعلم أن العضلات المستخدمة لفتح فكَيك ، أضعف بكثير من تلك التى تطبقها على فرائسك .. أليس كذلك ؟(★)

قالها وهو يعقد طرفى السترة فى قوة ، حول فكّى التمساح ، فى نفس الوقت الذى يحيط فيه بطنه بساقيه فى شدة ، ليحتفظ بجسده فوق ظهره الخشن ..

وثار (كروكى) ، وهاج ، وماج ، وراح يغوص فى الماء ، ويصعد ، ويضرب ذيله فى كل مكان حوله ، محاولًا التخلص من السترة ، التى تكبّل فكَيه ، ومن ذلك العملاق الرابض على ظهره ، ولكن (أدهم) راح يجذب السترة فى قوة ، ليصنع منها ما يشبه لجام الفرس ، مجبرًا التمساح الضخم على الاتجاه إلى حيث يريد هو ، حتى رأى

(★) حقيقة علمية .

تلك الفتحة ، التى سقط منها إلى النفق ، فوق رأسه مباشرة ، فهتف :

ـ رويدك يا هذا .. سأغادرك هنا .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى وثب واقفًا على ظهر التمساح ، ثم قفز مستجمعًا كل قواه ، ليتشبّث بطرفى الفتحة ، فى حين راح (كروكى) يضرب الماء والجدران بذيله فى غضب ..

وفى حزم ، ألصق (أدهم) ظهره بجدار الممر ، الذى قاده من قبو القصر إلى النفق ، ودفع قدميه فى الجدار المقابل ، وراح يصعد بهذا الأسلوب المرهق فى بطء ..

وفى نفس الوقت ، الذى يقترب (أدهم) فيه من القبو ، كان (كروكى) قد تخلّص من السترة ، التى تكبل فكَيه ، وانقضّ عليها يمزّقها بأنيابه فى غضب ، وكأنما ينتقم من صاحبها فيها ..

وبعد مجهود شاق للغاية ، بلغ أدهم تلك الفجوة ، التى سقط منها ، ولكنها كانت مغلقة جيدًا ، فمال بجسده إلى الأمام ، وألصق ظهره بغطاء الفجوة من أسفل ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ هيَّا .. استجب .

وراح يضغط الغطاء من أسفل إلى أعلى ، بكل ما يملك



ثم قفز مستجمعًا كل قواه ، ليتشبث بطرفى الفتحة ، فى حين راح (كروكى) يضرب الماء والجدران بذيله ..

من قوة ، فى ذلك الوضع الشاق العسير ، واحتقن وجهه بشدة ، وهو يدفع ، ويدفع .. ويدفع ..

ثم انهار الغطاء بغتة ..

وفى القبو ، كان أحد رجال (لانسلوت) يرقد مسترخيًا، عندما تحطم غطاء الفجوة أمامه فجأة ، فقفز من مكانه مذعورًا ، واندفع محاولًا التقاط مدفعه الآلى ، ولكنه فوجئ بـ (أدهم) يثب داخل المكان فجأة ، قائلًا فى سخرية :

ـ حذر من أنا .

كان قد بذل جهدًا خرافيًا ، ليصعد مرة أخرى إلى القبو ، ولكن هذا لم يمنعه من القفز نحو الرجل ، والإطاحة بمدفعه بركلة واحدة ، ثم تحطيم فكه بلكمة كالقنبلة ، دفعت بالرجل مترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن يهوى فاقد الوعى ..

وعندئذ فقط ألقى (أدهم) جسده على أقرب مقعد إليه ، وراح يلهث فى شدة ، حتى استرخى جسده ، وهدأت أنفاسه وانتظمت ، ففتح جفنيه فى إرهاق ، وغمغم :

ـ ابق فاقد الوعى بعض الوقت أيها الوغد .. أريد أن أنعم بقليل من النوم ..

قالها وأرخى جفنيه مرة أخرى ، و ..

ونام ..

كانت مخاطرة انتحارية منه ، أن يستغرق فى النوم داخل

وكر أعدائه ، إلا أنه لم يبال كثيرًا ، وترك جسده يحصل على ساعة كاملة من النوم والاسترخاء التام ، قبل أن يفتح عينيه ، وهو يتمتم :

ـ عجبًا يا (أدهم) !.. ما زلت على قيد الحياة !!

تثاءب فى عمق ، وألقى نظرة سريعة على الرجل الفاقد الوعى ، ثم هبَّ من مقعده فى نشاط ، وكأنه نعم بالنوم لست ساعات على الأقل ، وانحنى يلتقط المدفع الآلى للرجل ، وهو يغمغم :

ـ الآن بقيت مشكلة بسيطة يا (أدهم) .

وابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :

ـ أن تغادر هذا القصر .

قرن قوله بدراسة سريعة للمكان ، ثم جذب سلمًا معدنيًا ، وصعد بوساطته إلى نافذة زجاجية علوية ، تستخدم لتهوية المكان ، وأطل عبرها على حديقة القصر ، وابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ عظيم .. الطريق واضح ومباشر إلى البوابة الخارجية .

وتعلق بحاجز النافذة ، ودفع جسده إلى أعلى ، و ...

وفجأة ، قفز الرجل ، الذى استعاد وعيه ، يتعلق بساقيه ، ويجذبه إلى أسفل ، وهو يقول فى غضب :

ـ لست أدرى كيف أفلتَ من فكىّ (كروكى) ؟ ولكنك لن تفلت منى أبدًا .

ولكن (أدهم) أفلت الحاجز ، وقفز مع الرجل أرضًا ، ثم دار حول نفسه فى مهارة ، على نحو أجبر خصمه على التخلى عن قدميه ، وبعدها هبَّ (أدهم) واقفًا ، وهو يقول فى سخرية :

ـ من السهل القول أيها الوغد .

ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، مستطردًا :

ـ ولكن ماذا عن الفعل ؟

كانت هذه الضربة تختلف عن سابقتها كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

فالأولى ، التى أفقدت الرجل وعيه لساعة كاملة ، جاءت من قبضة (أدهم) المتهالكة المنهكة .

أما الثانية ، فقد استعادت فيها القبضة نشاطها وقوتها ، فضربت الرجل فى الحائط بعنف ، ثم أسقطته فاقد الوعى ، وكأنما انفجرت قنبلة فى وجهه ..

وفى هدوء ، عدَّل (أدهم) ثيابه ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها الوغد ..أنت أجبرتنى على هذا .

ووثب فى رشاقة ، يتعلق بحاجز النافذة ، وانثنى جسده فى مرونة مدهشة ، ثم اندفع عبر النافذة إلى الحديقة ،

التى هبط إليها فى خفة مدهشة ، تلفت بعدها حوله فى حذر ، قبل أن يعدو نحو السور ..

كان السور يبعد مائة متر تقريبًا ، والمكان هادئ ، ضعيف الإضاءة ، والجميع ينام ، فى تلك الساعة المتأخرة ، حين أن (أدهم) تساءل فى دهشة : كيف يترك رجل مثل سير (لانسلوت) قصره ليلًا بلا حراسة ، على هذا النحو ؟!..

ولكن فجأة ، شعر بحركة على مقربة منه ..

وعندما التفت إلى موضعها ، أتاه جواب تساؤله على الفور ..

كان ينطلق نحوه كلبان ضخما الجثة ، من طراز (دوبرمان) ، وقد كشر كل منهما عن أنيابه ، وتطاير الزبد من شدقيه ، دون أن يصدر صوتًا ..

وعدم نباح الكلب ، من (الدوبرمان) ، وهو يهاجم غريبًا ، لا يعنى سوى أنه كلب من طراز خاص ..

طراز قاتل ..

* * *

٨ ـ قنبلة ..

ارتسمت ابتسامة كبيرة على شفتى ضابط الجمارك السوفيتى ، وهو يستقبل (ألكسى ميلانوفيتش) فى مكتبه ، ويقول فى حرارة :

ـ أستاذى العظيم .. ما أسعد حظى برؤيتك .. كيف حالك أيها الرفيق الجنرال ؟ .. كيف تسير أحوالك فى الغرب الرأسمالى المنحل ؟

ضحك (ألكسى) وهو يصافحه ، قائلًا :

ـ أما زلت تتحدث بهذا الأسلوب يا (جوركى) ؟.. لقد انتهى عصر استخدام ذلك اللقب ، ولم يعد الغرب رأسماليًا عفنًا منحلًا ، كما كان فيما مضى .. إنه اليوم الصديق والمنقذ ، ولولاه ما وجدنا ما يكفى من القمح ، لسد أفواه المواطنين .. أليس كذلك ؟

مطَّ (جوركى) شفتيه فى أسى ، وهو يقول :

ـ صدقت يا أستاذى العظيم .. لم تعد الأمور كما كانت .

ثم اعتدل يسأله فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا عدت إلى هنا ؟.. وما الذى أتى بك إلى الدائرة الجمركية ؟

تراجع (ألكسى) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ لقد أصبحت أحد رجال الأعمال .

هتف (جوركى) مشدوهًا :

ـ حقًا ؟!..

ثم تراجع وتنهد ، قبل أن يستطرد :

ـ الجميع أصبحوا رجال أعمال .. هل رأيت ما فعله الغرب بنا ؟.. كل شارع الآن فيه مطعم لبيع ذلك (الهامبورجر) الأمريكى ، وكل ناصية تبيع زجاجات (البيبسى كولا) و (الكوكا كولا) .. هذا هو التقدم فى رأيهم .

رفع (ألكسى) سبَّابته ، وهو يقول :

ـ أما أنا ، فرجل أعمال من طراز خاص .

سأله (جوركى) فى لهجة تحمل نبرة استهجان :

ـ وهل يوجد رجال أعمال من طرازات مختلفة ؟

هتف (ألكسى) فى حماس مدروس :

ـ بالطبع ... أنا رجل أعمال وطنى .. مصلحة (روسيا) عندى فوق كل اعتبار .

اعتدل (جوركى) ، وهو يقول فى حماس :

ـ حقًا ؟!

أجابه (ألكسى) وهو يلوّح بذراعيه فى حماس مُقنع :

ـ بالتأكيد .. هل تعرف فيم أعمل ؟.. فى استيراد الأدوات الزراعية ، لتحسين إنتاج القمح فى (روسيا) .. نعم يا صديقى .. هذا هو هدفى الأول ، من البقاء فى الغرب .. أن أنقل خبراتهم إلينا ، واستغلها ، وأعمل على أن ننتج يومًا كل احتياجاتنا من قمح ، فلا نعود بحاجة إلى غرب أو شرق .

هبَّ (جوركى) من مقعده ، وهو يقول فى حماس حقيقى :

ـ هذه هى الوطنية الحقَّة .

استغل (ألكسى) حماسه ، ليضيف فى حماس مماثل :

ـ لقد أحضرت فى الواقع عشر آلات حديثة ، للحرث وبذر الحقول ، وتحسين التربة .. ستجدها فى تلك الصناديق الكبيرة ، التى أحضرتها من (أمريكا) .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ وهل تعلم ما الذى أحضرته معها ؟.. بذور قمح معالجة بأسلوب خاص ، بحيث تعطى ضعف الإنتاجية المعتادة .. بل ويمكنها أن تنمو وسط الثلوج أيضًا .

رفع (جوركى) حاجبيه لحظة ، ثم انقضَّ على يد (ألكسى) .. يشدّ عليها فى حرارة ، وهو يقول فى حماس :

ـ هذا هو أستاذى الذى أعرفه .. هذا ما أتوقَّعه منك دائمًا .

ابتسم (ألكسى) فى ظفر ، وهو يقول :

ـ والآن .. تعال لتفحص الصناديق .

سأله (جوركى) :

ـ أية صناديق ؟

أشار (ألكسى) بيده ، قائلًا :

ـ الصناديق التى أحضرت فيها الآلات والبذور ، و ...

قاطعه (جوركى) فى حماس :

ـ وهل يصح أن أشك لحظة واحدة ، فى أمانة ووطنية أستاذى .. أين أوراق الشحنة ؟

ناوله (ألكسى) الأوراق ، وهو يقول :

ـ لا أريد أن تتعرَّض للمساءلة فيما بعد ، أو ...

قاطعه (جوركى) بإشارة من يده ، وهو يقول فى حزم :

ـ مستحيل يا أستاذى .. مستحيل !

وذيَّل الأوراق بتوقيعه ، وأعادها إلى (ألكسى) مضيفًا :

ـ أين الشحنة ؟

أشار (ألكسى) بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

- السيارات تحملها ، استعدادًا للفحص .
عقد (جوركى) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :
- لقد تم فحصها بالفعل .
ولم يكتف بالقول ، بل أشرف بنفسه على خروج الصناديق العشرة من الدائرة الجمركية ، وهو يشدّ على يد (ألكسى) مرة أخرى . قائلًا :
- دمت ذخرًا لهذا الوطن يا أستاذى العظيم .
ولم يدر ، وهو يقف مبتسمًا فى ارتياح ، وملوّحًا لأستاذه العظيم ، أنه إنما ساعد بحماسه الغبى فى إدخال الرءوس النووية الزائفة إلى (روسيا) ، والتى سيتم استبدالها برءوس نووية حقيقية ، تكفى للسيطرة على (روسيا) كلها ..
بل على العالم ..
العالم أجمع ..

★ ★ ★

كانت المسافة التى تفصل (أدهم) عن الكلبين القاتلين لا تتجاوز ستة أمتار ، فى حين كانت المسافة بينه وبين السور ستين مترًا على الأقل ..
وهذا يعنى أن الفرار من الأنياب القاتلة مستحيل ..
وأن المواجهة حتمية ..

وعندما أدرك (أدهم) هذا ، قرَّر ألا ينتظر ، حتى يشعر بالمخالب الحادة تنغرس فى ظهره ..
لذا فقد التفت يواجه الكلبين ..
وعلى الرغم من حزمه وصرامته وإصراره ، وهو يواجههما ، لم يتردَّد أحدهما فى الانقضاض عليه ، وهو يكشر عن أنيابه ، ويثب فى مرونة شرسة ، و ...
واستقبل (أدهم) هذه الانقضاضة بأسلوب مدهش ..
أسلوب لم يعتده الكلب قط ..
بل ولم يخطر ببال أكثر كلاب الدنيا خيالًا وخبرة .
لقد استقبل (أدهم) الانقضاضة بلكمة ..
لكمة أودعها كل قوته ، وهوى بها على فك الكلب الضخم كالقنبلة ..
وبعواء خافت مكتوم ، سقط الكلب أرضًا ، ورأسه يدور ، فى حين وثب الكلب الثانى نحو (أدهم) ، فى محاولة للانتقام لزميله ، ولكن (أدهم) وثب بدوره ، واستقبله بركلة عنيفة فى معدته ، ألقته ثلاثة أمتار إلى الخلف ..
وعندما نهض الكلبان ، استقبلهما (أدهم) بنظرة مخيفة ، وهو يتقدَّم نحوهما ، فتراجعا فى حذر قلق ، ثم استجمع أحدهما شجاعته ، واندفع نحو (أدهم) ، الذى

استقبله بركلة قوية فى أنفه ، جعلته يسقط أرضًا ، ثم يعوى فى ألم ، ويتراجع مذعورًا ، ثم يتوقَّف لحظة مع زميله ، يحدقان فى (أدهم) ، قبل أن يدورا على قوائمهما ، ويعدوان مبتعدين ..
وهنا زفر (أدهم) فى ارتياح ، وهو يغمغم :
- حمدًا لله .. لقد وفقنى الله (سبحانه وتعالى) لإخافتهما .
وراح يسرع الخطا ، ليقطع الأمتار المتبقية ، بينه وبين السور ، وعيناه تفحصان المكان فى سرعة ، ثم قال لنفسه ساخرًا :
- يبدو أنك تواجه دائمًا نمطًا واحدًا من الأشرار يا (أدهم) .. لقد اتخذوا كل الاحتياطات الممكنة ، لمنع دخول أى مخلوق إلى القصر ، ولكنهم أهملوا تمامًا كل احتمالات الخروج منه .. هاهى ذى شجرة كبيرة تجاور السور ، وأغصانها تمتد بالقرب منه ، ...
قبل أن يتم عبارته ، شعر بتلك الحركة الفائقة خلفه ، وانتبه إليها بغتة . فاستدار يتطلَّع إلى مصدرها ، وارتفع حاجباه فى دهشة ..
كان الكلبان (الدوبرمان)(★) قد عاودا هجومهما

(★) الدوبرمان : نوع من الكلاب ، يتميز بالرشاقة والقوة والشراسة ، والقابلية لاستيعاب التدريبات الجديدة والعنيفة ، وهو يستخدم عادة للحراسة الشخصية ، أو قتال الكلاب الوحشى ، ويعرف هذا النوع باسم (دوبرمان بنيشر) .

عليه ، ولكنهما لم يأتيا وحدهما هذه المرة ، وإنما كان بصحبتهما فريق كامل من الكلاب ، من الطراز نفسه .
فريق يتكوَّن من ستة كلاب صامتة شرسة ..
وانطلق (أدهم) يعدو بكل قوته ، نحو تلك الشجرة الكبيرة ، والكلاب تعدو خلفه فى غضب ، وأنيابها متعطشة لدمائه ..
وكانت مطاردة رهيبة بالفعل ..
مطاردة بين رجل وسرب من الكلاب الوحشية ..
واقتربت الشجرة أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..
وكذلك الكلاب ..
لقد انكمشت المسافة ، التى تفصلها عن (أدهم) إلى حد كبير ، حتى باتت كافية ليثب أحد الكلاب نحوه ..
ولم يتردَّد الكلب ..
وقفز ..
وفى نفس اللحظة بالضبط ، قفز (أدهم) ..
وغرس الكلب أنيابه فى أسفل سروال (أدهم) ، الذى تعلَّق بأحد الأغصان القوية للشجرة المجاورة للسور ، وجذب جسده إليها بكل ما تملكه عضلات ذراعيه من قوة ، فتمزَّق الجزء السفلى من سرواله مع أنياب الكلب ، فى حين تفادت ساقاه أنياب الكلاب الأخرى ، وهو يعتلى الشجرة ، قائلًا فى سخرية :

ـ معذرة يا وغد الكلاب .. لقد تأخرت عن القيام بدورك .

زمجرت الكلاب فى ثورة غاضبة ، ولكنه تجاهلها تمامًا ، ووثب إلى غصن آخر ، وتعلّق به ، ثم تأرجح لحظة ، وقذف جسده فوق السور المكهرب ، وتجاوزه إلى الطريق الخارجى ، حيث هبط على قدميه ، وثنى ركبتيه لامتصاص الصدمة ، ثم اعتدل واقفًا ، وابتسم وهو يستمع إلى زمجرة الكلاب من الجانب الآخر ، وغمغم :

ـ أعلم أن فقدان الفريسة يغضبكم ، ولكن نجاحكم فى افتراسها كان سيغضبنى أنا حتمًا .

قالها وانطلق يحث الخطا ، حتى بلغ الطريق الأسفلتى ، وعقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا ، وسار بمحاذاة الطريق ربع ساعة أخرى ، حتى لاحت له من بعيد أضواء مصابيح سيارة تقترب ، فتوقّف يشير إليها ، وهو لا يتصوّر أبدًا أن يجازف سائقها بالتوقّف ، مع مظهره هذا ..

ولكن الرجل فعل ..

كان مخمورًا إلى حد ما ، ولكنه توقّف إلى جوار (أدهم) تمامًا ، وهتف :

ـ ماذا أصابك يا هذا ؟.. أهو حادث طريق ؟



وقذف جسده فوق السور المكهرب ، وتجاوزه إلى الطريق الخارجى ، حيث هبط على قدميه ..

فتح (أدهم) باب السيارة ، ودلف إلى المقعد المجاور له ، وهو يقول :

بل هو أمر أكثر خطورة .. انطلق بالسيارة ، وسأخبرك .

انطلق الرجل بالسيارة فى آلية ، وسأله باهتمام مترنح :

ـ وما هذا الأمر ؟

مال (أدهم) على أذنه ، وقال :

ـ الأشرار يطاردوننى ، وأنا أحمل سرًا خطيرًا ، واسمى (بوند) .. (جيمس بوند) .

ارتفع حاجبا الرجل فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ مستر (بوند) .. كنت أتصوّر أنك مجرّد شخصية خيالية .

أجابه (أدهم) ، بلهجة توحى بخطورة الأمر :

ـ هذا ما حاول الأشرار إقناعكم به .

ظلت ملامح الرجل تحمل أمارات الدهشة لحظة ، ثم لم يلبث أن قال فى انبهار :

ـ يا لسعادتى !.. إننى من أشدّ المعجبين بك يا مستر (بوند) .. لقد شاهدت كل أفلامك .

أشار إليه (أدهم) ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ سنتجه إلى شارع (بيكر) بالقرب من ميدان (ترافلجار)(*) .

أطاعه الرجل فى تلقائية ، وهو يتابع فى سعادة :

ـ (الأصابع الذهبية) .. (عش ودعهم يموتون) .. (من أجل عينيك) .. كل الأفلام شاهدتها أكثر من مرة .

ابتسم (أدهم) ، مغمغمًا :

ـ عظيم .. توقّف هنا .

ضغط الرجل فرامل سيارته فى قوة ، فأطلقت الإطارات صريرًا عنيفًا ، جعل وجهه يزداد احتقانًا ، مع كل ما جرعه من خمر ، وهو يغمغم :

ـ معذرة .. لم أتعمّد هذا .

ثم ضحك فى ارتباك ، مستطردًا :

ـ ولكنك اعتدت هذه الأصوات بالتأكيد .

غادر (أدهم) السيارة ، وهو يقول :

(*) ترافلجار : ميدان شهير فى (لندن) ، يخلد ذكرى معركة بحرية ، انتصر فيها القائد البحرى البريطانى (نلسون) ، على الأسطولين الفرنسى والأسبانى ، وأسر عشرين سفينة ، دون أن يخسر سفينة واحدة ، والاسم مأخوذ عن الاسم العربى (الطرف الأغر) ، وهو رأس شمال غرب مضيق جبل طارق ، حيث حدثت المعركة .

ـ بالطبع .. أشكرك يا سيّدى .. سأذكر اسمك فى فيلمى القادم .

هتف الرجل :

ـ حقًا .. على أية حال .. اسمى (بيل) .. (بيل موراى) .

لوّح (أدهم) بسبّابته ، قائلًا :

ـ لن أنساه أبدًا .

وعندما انطلق الرجل مبتعدًا ، والسعادة تملأ عقله المخمور ، كان (أدهم) داخل منزله الآمن ، فى قلب (لندن) ، أمام مرآة صغيرة ، يبدل ملامحه فى هدوء ، ليتحوّل إلى شخصية (روجر سبيلمان) ، التى تم إعدادها والتمهيد لها منذ اللحظة الأولى ، التى وصل فيها إلى (انجلترا) ..

وبعد ساعة ونصف الساعة تقريبًا ، كان يتجه إلى نادى الرماية ، فى شخصية (روجر) ، ويلتقى بسير (لانسلوت) ، و ..

وكان ما كان ..

★ ★ ★

ابتسم سير (لانسلوت) ابتسامة هادئة ، لا توحى أبدًا بالثقة أو الارتياح ، وهو يسأل (أدهم) ، فى بهو النادى :

ـ إذن فأنت ابن سير (سبيلمان) ، من زوجة أمريكية !..

يالها من مفاجأة !.. كيف أخفى (سبيلمان) هذا الأمر حتى وفاته ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يسترخى فى مقعده بلا مبالاة :

ـ كان يشعر بالخجل ، لأنه تزوّج أمريكية ، وأنجب ابنًا يفتقر إلى الروح البريطانية الخالصة ..

ثمن اعتدل فجأة ، واستطرد فى سخرية :

ـ ولكنك لم تصحبنى إلى هنا لتناقشنى فيما فعله أبى ، منذ أربعين عامًا يا سير (لانسلوت) ..

سأله (لانسلوت) بابتسامته الصفراء :

ـ لماذا تظننى اصطحبتك إذن ؟

أمسك (أدهم) البندقية ، وهو يقول :

ـ لتفرّ من التحدّى .

استغرق (لانسلوت) فى الضحك فجأة ، على نحو أثار دهشة واستنكار الحاضرين ، من روّاد النادى ، فابتسم (أدهم) قائلًا :

ـ عجبًا !.. هأنتذا تتصرّف بالأسلوب الأمريكى يا سير (لانسلوت) .

أجابه (لانسلوت) ، وهو يلوّح بكفه :

ـ إنه يروق لى أحيانًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ قل لى يا (روجر سبيلمان) : ما رأيك فى تحدّ آخر ؟

سأله (أدهم) :

ـ أى نوع من التحدّى ؟

لوّح (لانسلوت) بسبّابته على نحو مسرحى أنيق ، وهو يقول بابتسامة ماكرة كبيرة :

ـ الجولف .. سمعت أنك عبقرى فى تلك اللعبة .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى غرور متعمّد :

ـ إلى حد ما .

هتف (لانسلوت) :

ـ عظيم .. ما رأيك لو انطلقنا الآن مباشرة إلى نادى الجولف الملكى ، وتحديتك فى مباراة كاملة ؟

تطلّع إليه (أدهم) لحظات فى شىء من الشك ، ثم قال :

ـ ليس لدى أى مانع .

تنهّد (لانسلوت) فى ارتياح ، وهو يضطجع فى مقعده ، مكرّرًا :

ـ عظيم .

لم يكد ينطقها ، حتى وجد خادمه الخاص (مور) خلفه ، يقول فى احترام :

ـ سيّدى .. هل يمكننى التحدّث إليك على انفراد ؟

ابتسم (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا (مور) .. معذرة يا سير (سبيلمان) .. انتظرنى .. سأعود إليك بعد لحظات .

ونهض مع خادمه إلى ركن قريب ، وهناك أخرج (مور) من جيبه صورة ، ناولها لسيّده ، قائلًا فى صوت خافت :

ـ لقد اختلست صورة للرجل ، وهو يجلس معك يا سيّدى ، بآلة التصوير الخاصة ، ذات الأشعة دون الحمراء ، وها هى ذى النتيجة .

ارتفع حاجبا (لانسلوت) ، وبرقت عيناه فى شدّة ، وهو يتطلّع إلى الصورة التى اخترقت قناع (أدهم) ، وكشفت وجهه الحقيقى ، وهتف فى همس :

ـ كنت واثقًا من هذا .

سأله (مور) فى لهفة :

ـ ماذا ستفعل يا سيّدى ؟

أجابه (لانسلوت) :

ـ سأصطحبه الآن إلى نادى الجولف الملكى ، وسنقيم مباراة فى الطرف الغربى منه ، حيث أكمة الأشجار ، ومسار المباراة سيحتّم سقوط كرته وسط الأعشاب ، وعندئذ سيكون عليك أن تستبدل تلك الكرة بواحدة من كراتنا الخاصة .

هتف (مور) فى جذل :

ـ النيتروجلسرين(*) ؟!

ابتسم (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ ألدينا كرات أخرى ؟

تألقت عينا (مور) فى جذل وحشى ، وهو يقول :

ـ سمعًا وطاعة يا سير (لانسلوت) .. سمعًا وطاعة .

عاد (لانسلوت) إلى حيث يجلس (أدهم) ، وقال :

ـ هل نذهب الآن يا سير (سبيلمان) ؟

نهض (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ هيا بنا يا سير (لانسلوت) .

ولم يدر ، وهو ينطلق معه إلى نادى الجولف الملكى ، أنه إنما ينطلق إلى أعماق الفخ ..

الفخ القاتل ..

* * *

رفع مدير (الموساد) عينيه ، يتطلّع إلى مدير مكتبه فى تساؤل ، فأشار هذا الأخير بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

(*) النيتروجلسرين : مادة شديدة الانفجار ، وشديدة الحساسية للارتجاج ، وتتكوّن من مزيج من حمض النيتريك والجلسرين ، ولهما استخدامات طبية متعددة .

ـ التفتيش الإليكترونى الدورى يا سيّدى .

مطّ الرجل شفتيه ، وتنهّد قائلًا :

ـ فليكن .. دعهم ينتهون منه بسرعة .

لملم أوراقه الخاصة ، وانحنى جانبًا ، فى حين دلف اثنان من خبراء الفحص الإليكترونى إلى المكتب ، وألقيا تحية صامتة على المدير ، ثم بدأ كل منهما يستخدم جهازه الخاص للفحص ..

وفجأة ، ارتفع أزيز خاص من أحد الجهازين ، فشحبت الوجوه ، واحتقن وجه المدير ، وهو يشير بيده متسائلًا ، فأشار إليه أحد الخبيرين بالصمت ، وهو ينحنى ليفحص الأماكن الخفية من الأثاث ، قبل أن يشير إلى نقطة منها ، فأسرع إليه زميله ، وانحنى يتطلّع إليها بدوره ، وبعدها أخرج أحدهما قطعة من البلاستيك ، لها شكل أسطوانى سميك ، وأحاط بها جهاز التصنت الصغير ، واعتدل قائلًا فى دهشة :

ـ آخر شىء يمكن توقعه .. جهاز تصنت دقيق فى مكتب المدير ؟!

سأله المدير فى غضب :

ـ من وضع هذا الشىء ؟

قال الخبير فى سرعة :

ـ هذه ليست مهمتنا .. لقد كشفنا وجوده فحسب ،

وعزلنا الأصوات عنه تمامًا .. والمفروض أن تقوموا بتحقيق واسع ، لكشف الجاسوس الذى دسّه هنا .

عقد مدير الموساد حاجبيه لحظات ، قبل أن يقول :

ـ فليكن .. اتركوا لنا هذه المهمة .. أما الآن ، فسنعد بعض الأحاديث الزائفة ، ليواصل الجهاز نقلها ، حتى يتم الإيقاع بالجاسوس .

سأله مدير مكتبه فى قلق :

ـ هل نبدأ تحقيقًا رسميًا يا سيّدى ؟

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ بل سأسند هذه المهمة إلى أحد رجالنا .

وشرد ببصره لحظة ، ثم أردف :

ـ إلى أفضل رجالنا على الإطلاق .

وعندئذ قفز اسم إلى ذهن مدير مكتبه ..

اسم أخطر رجل فى جهاز (الموساد) كله ..

اسم (موشى) ..

(موشى حاييم دزرائيلى) ..

* * *

سدّد (أدهم) مضرب الجولف إلى الكرة فى إحكام ، ثم ضربها فى قوة ودقة ، فطارت عدة أمتار فوق الملعب ، قبل أن تهبط على مسافة كبيرة ، جعلت أحد المشاهدين يهتف :

ـ رائع .. هذا الفتى موهوب .

ابتسم سير (لانسلوت) ، وهو يستعد لضرب كرته بدوره ، قائلًا :

ـ من الواضح أنك أثرت إعجاب الجميع يا (روجر) .

أجابه (أدهم) ، وهو يتعمّد التظاهر بالغرور :

ـ هذا أمر طبيعى يا سير (لانسلوت) ، فأنا أجيد اللعب .

ضرب (لانسلوت) كرته فى مهارة حقيقية ، فقطعت شوطًا طويلًا ، قبل أن تستقر بالقرب من كرة (أدهم) ، الذى أردف :

ـ ومن الواضح أنك لا تقل مهارة يا سير (لانسلوت) .

قال (لانسلوت) فى هدوء عجيب :

ـ إننى أمارس اللعبة منذ حداثتى .

سار الاثنان فى هدوء ، متجهين إلى كرتيهما ، و (أدهم) يقول :

ـ طول فترة ممارسة اللعبة لا يعنى التفوّق فيها .. هناك عوامل أخرى تتحكّم فى الأمر بشكل أفضل .

سأله (لانسلوت) متهكمًا :

ـ مثل ماذا ؟

أجابه (أدهم) متجاهلًا أسلوبه السخيف :

ـ أسلوب الممارسة مثلًا ، والقواعد المتبعة .. ثم هناك الموهبة الشخصية .

كانا قد بلغا موضع كرة (أدهم) ، فاستعد لضربها ، وهو يتابع :

ـ وبمناسبة الموهبة الشخصية .. سمعت أنك عضو بالغ الأهمية فى المنظمة يا سير (لانسلوت) .

ابتسم (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!.. ومن أخبرك هذا ؟

ضرب (أدهم) كرته ، وهو يجيب :

ـ (جوان) .

أخفى (لانسلوت) ابتسامته الساخرة ، خلف لهفته الشديدة ، وهو يراقب كرة (أدهم) ، التى قطعت مسافة طويلة ، ثم سقطت وسط أكمة الأشجار ، ثم اعتدل فى ارتياح ، وقال :

ـ آه .. (جوان) أخبرتك هذا ؟

أجابه (أدهم) :

ـ نعم يا عزيزى (لانسلوت) .. وأنت تعرف بالطبع عمن أتحدث .

ضرب (لانسلوت) كرته بدوره ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. إننى أتحدث إليها يوميًّا تقريبًا .

كان واثقًا من أن (مور) قد استبدل كرة (أدهم) فى

تلك اللحظة ، بتلك التى تحوى النيتروجلسرين المتفجر ، وأن ضربة واحدة للكرة الجديدة ، تكفى لصنع انفجار مناسب ، يطيح برجل له ضعف حجم (أدهم) فى لحظة واحدة ؛ لذا فقد تلكأ فى سيره ، وترك (أدهم) يسبقه إلى الأكمة ، وهو يقول :

ـ هل وصلتك آخر تعليماتها ؟

توقف (لانسلوت) ، وهو يقول :

ـ أية تعليمات ؟

أجابه (أدهم) :

ـ تلك الخاصة بوكر المنظمة .. هل تعرف أين هو ؟

قال (لانسلوت) فى اقتضاب :

ـ بالطبع .

انتظر منه (أدهم) أن يفصح عن المزيد ، ولكنه لم يفعل ، فواصل طريقه إلى الأكمة فى بساطة ، حتى لا يثير شكوكه ، واخترقها متجهًا إلى الكرة الجديدة ، قائلًا فى هدوء شديد :

ـ إنها تعليمات بالغة الأهمية .

تراجع (لانسلوت) فى سرعة ، عندما رآه يتجه نحو الكرة ، ويرفع عصاه ليضربها ، ثم انطلق يعدو بكل قوته مبتعدًا عن المكان كله ..

ومن خلفه ، دوى الانفجار ..
الانفجار الرهيب .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث

(مذاق الدم)

★ ★ ★

رقم الإيداع ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية
ت : ٢٨٢٣٧٩٢٣ ـ ٢٨٢٥٥٥٤



رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :